چيفارا

الرمز والإنسان

عصام شعبان

جيفارا

إعداد

عصام شعبان

جيفارا

عصام شعبان

الطبعة الأولي
2008
رقم الإيداع
2008/17330
تصميم الغلاف،
سامر محمود
الناشر
الشركة العالمية للنشر والتوزيع
المرسلات
العنوان: 8 ش البطل أحمد عبدالعزيز- متفرع من ش شريف وسط البلد
التليفون: 0103654326
ادارة المبيعات: 0103654326-0106853706
البريد الإلكتروني
elakeiby@yahoo.com
المدير التنفيذي
أمير الإسلام سامى الاكيابي



الى صلاح عدلى ابا" وصديقا ورفيق الى كافة الرفاق الحـالمين بالعـدل والحرية الصامدين فى نضالهم من الانسان الى ندى عابد اتـى تنبـت فى فضاءات الروح الى شرفاء والحلم المراوغ عزة ريهام اسماء

على سبيل التقديم

اجتمعت انا والناشر وعدد

من أصدقائنا على ضرورة إن نخرج كراس تقول من جيفارا ،وكنا ونحن نتفق على هذا العمل نعى جيدا عبئ ما نريد إن نبدأ فيه ونعى خطورة الخطأ إذا أخطائنا ولكننا قررنا أن نعد هذه الكراس ليبرز بشكل بسيط صورة جيفارا ويضئ الطريق للبعض حول جيفارا الإنسان والرمز والمناضل ،وخاصة مع تحول جيفارا إلى سلعة على يد أصحاب الشركات على تنوعها الكل يستخدم الرمز ليكسب منه نقودا أكثر ببساطة يتم تحويل جيفارا من رمز للانتفاض الثوري ضد الاستغلال والاستعمار إلى أداة فى يد الرأسمال لتحقيق مزيد من الربح، وما بين السلعة وبين التشويه الذي يتعرض له جيفارا حسمنا أمرنا ، نخرج هذا الكراس محاولين إلقاء الضوء على حياته ونشأته ورحلته فى أمريكا الاتنيه بجواتيمالا والمكسيك و وكوبا، مع إطلالة حول الاشتراكية فى فكر جيفارا والبعد الاممى الذي طالما كان مؤمنا به ، وأفكاره حول الاشتراكية ودور الحزب والطليعة فى البناء الحزبي ،إضافة إلى بعض من أعماله وإسهاماته الفكرية وبعض رسائله ومقولاته، حاولنا أن نقدم صورة لرجل المقاومة المسلحة والبؤر المقاتلة وتعبئة الجماهير من عمال وفلاحين لتغير هذا العالم إلى عالم أفضل للكادحين، كان يحلم جيفارا بعالم مغاير ينتفي فيه الاستغلال والظلم ويستطيع جموع المستغلين أن يصنعوا عالم لهم أليس هو المردد دوما لعبارة " التعساء هم سر القوة فى هذا العالم".

لم تكن حركة التحرر الوطني والحركات ذات الملامح الاجتماعية وتحركات الشباب فى الستينيات والسبعينيات المناهضة للحرب بعيدة الصلة عن الأفكار الجيفاريه لقد كانت الجيفاريه فى حالة جدل موضوعي مع مجريات الإحداث ورغم خمود هذه الحركة لفترة طويلة إلا أنها تعود بقوة مرة أخرى لتطالب بعولمة بديلة وإنسانية ضد الاستغلال وضد الاستعمار والهيمنة ويعود اليسار مرة أخرى طارحا برنامجه الذي يعتبر المخرج من أزمات هذا العالم، ويعود جيفارا وبقوة ويبقى ولو كرة الكارهون سيبقى ما دام أن هناك استغلال وقهر وهيمنة وراس مال يحول دون تحقيق الحرية والعدل يعود جيفارا وتعود حركة المقاومة الاجتماعية وصوت الضمير الانسانى لخلق عالم انسانى ممكن، لقد امن جيفارا بان الأرض لمن عليها وان الأوطان لأصحابها ينتجون فيها ويسيطرون عليها وسيتبقى تلك الأفكار شعاع ينذر ببزوغ النور وان تأخر قليلا.

معجبين بالتركيبية الإنسانية المفعمة بحب البشر مدفعين بحبنا للعدل والتقدم لمواجهة شرور هذا العالم وغطرسة الهيمنة الأمريكية وقوى راس المال المعولم طامحين إلى عالم اشتراكي، نقدم لكم صورة نعتقد أنها الأقرب إلى الصحة حول

جيفارا الذي ترك لنا ميراث من المواقف والمعارك والأفكار التي تجعل ملايين من البشر في كل العالم ثابتين على الموقف ضد الاستعمار وضد الاستغلال،

جيفارا الإنسان

من الصعب أن تتحدث عن شخص ظلت حياته لأخر نفس فيها زاخرة بالإحداث ولكننا سنحاول تقديم نبذه حول جيفارا الإنسان أين ومتى وكيف عاش لعل هذه المعرفة على بساطتها هي مدخل لفهم جيفارا المناضل والرمز، فكل إنسان تكون أحداث النشأة والظروف التاريخية والنفسية والاجتماعية التي ولد بها كبيرة الأثر في تكوين شخصيته بل وتحديد مسار حياته في أحيان كثيرة.

ولد جيفارا في أغسطس 1928 في أحد أحياء العاصمة الأرجنتينية" يونس ايرس" وتحديدا فى حي "روزاريو" لأسرة عادية ألام مثقفة من أصل أسباني مهتمة بالشأن العام واهتمت بتربية ابنها وإطلاعه على فنون الأدب من شعر وقصة وسير ذاتية للمحررين والعظماء علمته حب البشر وقيم الحرية والعدل إما الأب فكان مهندس مدني من اصل ايرلندي.

عندما بلغ الرابعة من عمره أوصى الأطباء بسرعة انتقال الأسرة إلى مكان

أكثر جفافا حيث أخذت حاله تشي الصحية تتدهور في ذلك الحين، فانتقلت الأسرة إلى "كوردوبا "ومنها انتقلت إلى "التاغرسيا "

كان جيفارا الابن الأكبر بين اشقائه حيث كانت له أخت تدعى سليا وكان تشي شديد الحب والارتباط بها وكثير المشاجرات معها أيضا، ولقد أصبحت سيليا مهندسة معمارية كأبيها وكذلك أخته الصغرى "ماريا " إما الأخ الأصغر "روبرتو" فقد أصبح محامى.

التحق جيفارا بالمدرسة الابتدائية "سان مارتن " ثم أنتقل إلى مدرسة" مانوييل" وعاش جيفارا فى هذه الفترة فى فيلا فى منطقة " التاغراسيا" وهى منطقة جبلية، كان والدة في ذلك الحين يدير مزرعة لنبات "الماتى " وهو نبات مثل الشاي وكانت المزرعة ملكا لوالدته "سيليا " ولكن اضطرت لبيعها في عام 1947ولقد اثر المرض على انتظامه الدراسي فى العام الخامس والسادس, الأمر الذي استدعى اهتمام اكبر من الأسرة لمساعدته في دروسه، ثم انتقل بعد ذلك تشي إلى "كوردوبا" ليلتحق بالمدرسة الثانوية" دين فيرتز" وكانت حالة عائلته المادية فى ذلك الحين، غير ذي قبل الأمر الذي جعل جيفارا يعمل ليدبر مصاريفه الشخصية وازداد ولع جيفارا فى ذلك الحين بالفرنسية والأدب الفرنسي وازداد حبة للمخاطرة، امتاز جيفارا الفتى بروح مرحة محبة للمغامرة والترحال واتصف باليقظة وشغف بحب القراءة فكان يقضى وقته بين الترحال والقراءة وكان من محبي الكاتب "جول فيريد" و"ألكسندر ديماس" وكان يهوى كتابة الشعر والتصوير والرسم، ورغم المرض كان معروفا فى نادى "اتالايا " كرياضي ملئ بالحيوية، ولعل الاهتمام والعناية به وخاصة من جانب والدته واطلاعه على الأدب والشعر الفرنسي والاسبانى كان أمرا مؤثرا جدا فى حياته، كما كان نبا القبض على والده "حيث أسس لجنة مساندة للجمهورية الأسبانية عام1937" من الأمور المؤثرة في حياته حيث جعله يحس بمعنى الافتقاد وبمعنى القهر الذي تمارسه السلطة اى سلطة على البشر حيث تحرمه من احتياجاته وتحد من حريته.

فى المرحلة الثانوية ذهب جيفارا فى احد المرات منضماً إلى مظاهرة غاضبة استهدفت احد النوادي الفاخرة التي يتردد عليها أغنياء الأرجنتين والذي كان يسمى " نادى جوكى " ولقد كون جيفارا وجهة نظر سابقة عن هذا النادي الذي كان يذكره له والدة بأنه نادى المتخمين والمستغلين ! ، وعندما وجد جيفارا المتظاهرين انضم أليهم مرددا " فليسقط المتخمين بالمال فليسقط المتخمين بالمال " التقط حجارة واخذ يقذف بها وجهات المحل الزجاجية مرددا اذهبوا إلى الولايات المتحدة أيتها الخنازير.

هكذا كان في المرحلة الثانوية محبا للناس متفائلا كثير الحركة والترحال، لقد كانت رحلته في بعض أنحاء أمريكا الاتنية مرتحلا على دراجة بخارية في صحراء ووديان القارة باحثا عن المعرفة وخبرات الشعوب ونضالاتها، مساعدا لكل من يستطيع تقديم المساعدة له، كان شاعرا بقسوة الحياة التي تحييها شعوب أمريكا الاتنية في ذلك الوقت.

يحكي جيفارا في مذاكراته عن احد النساء التي قابلها في رحلته قائلا " كانت تلك الفقيرة تستدعي العطف على معاناتها فالرائحة التي تنبعث من غرفتها وتختلط مع الغبار الذي يغطي الأثاث القليل، غير نوبات الربو والخلل في نشاط القلب ،عندما يصدم الطبيب في حالة مثل هذه يدرك انه يفقد أية قدرة على إيجاد حل، لان ذلك يتطلب تغير أسلوب الحياة ووضع حل لهذه المعاناة والوضع الذي ينضح بالظلم، فهذه المرآة العجوز تقدمت منذ شهر بطلب عمل في مشغل للخياطة وكانت تتكئ على الطاولات إثناء قيامها بالتنظيف في العمل – إلا تستحق هذه المرآة أن تعيش عيشة إنسانية مكرمة معززة،

ويضيف تشي محللا أثار الفقر وما يتركه في نفوس الفقراء فيقول " عندما يتعرف الفقير على ظروفه الجديدة تولد داخلة عدوانية يصعب اخفاوها – عدوانية تجاه هؤلاء الذين لا يردعون أنفسهم عن ظلم الآخرين. وهنا يتناول جيفارا ليس حالة تلك العجوز فحسب، ولكن ينطلق إلى تحليل لمجمل الأوضاع في أمريكا الاتنية وأوضاع سكانها الفقراء وما يتعرضون له من ظروف معيشية يحاصرهم فيها المرض والعوز والفقر وعبر هذه الظروف يصل إلى تحليل مفاده أن حل هذه المشكلات لن يتم بالحلول الفردية، مبيننا حالة الاغتراب التي يعيشها العمال في معظم البلدان حيث يعيشون في ظل نظام إنتاج عبودى لا يمنحهم سوى ما يكفيهم لان يبقون على قيد الحياة فحسب وهم يعانون من حالة الاغتراب والقلق المستمر في ظل تلك الظروف، يقول بصدد ذلك " عندما يجد الإنسان حياته بلا مستقبل بلا أفق يعيش دوما خائفا من ما هو آت لأنه لا يستطيع تأمين سبل المعيشة إلى عدة أيام قادمة ذلك المستقبل الذي سوف يظل كاتما في ظل تلك الظروف " ويضيف عن توصيف لحالة العمال فيقول " في حياة شغيلة كل بلدان العالم أولئك الذين فقدوا أحلامهم في المستقبل الاتى تكمن المأساة "

وفي رحلته التي صاحبه فيها صديقه ألبرتو يستضيفوهما احد أصحاب المزارع موفرا لهم البيات والطعام وهم في حالة إنهاك شديد وبلا أموال تمكنهم من شراء أطعمة ، ولكن ذلك لم يشفع لصاحب المزرعة، حينما تحدث عن علاقته بالعمال وما يحصلون علية من اجر نظير عملهم الأمر الذي دفع جيفارا إلى الهجوم بحدة على الرجل نظرا للطريقة التي يعامل بها ذلك المتخم المستغل أولئك العمال الكولومبيون، وفي هذه الرحلة لم يتوقف تشي عن التأمل والكتابة

والقراءة والحديث مع صديقة ألبرتو فيقول عن أحلامه " أريد أن أمارس مهنة الطب لكنى أرى ضرورة التغير، التغير الحقيقي الذي يكفل القضاء على مآسي البشر وعلى أسباب المرض وهذا الأمر لن يحققه الطب وحدة، يبحث دوما تشي عن حلول لماسي الواقع وما يراه إثناء جولاته وترحاله فيقول إلى ألبرتو " اعتقد أن ثروات هذه البلاد من المعادن ومن الأرض الخصبة يجب أن تخدم جميع الناس لا أن تخدم بعض العائلات الأغنية فقط، أو الشركات الأمريكية فهولا يشكلون دوما سرطانا لا يمكن القضاء علية إلا نهائيا "

كانت رحلته عبر الدراجة البخارية متجولا فى أمريكا الجنوبية فرصة ليرى ما يعانيه سكان أمريكا الجنوبية من استغلال وقهر من قبل الاستعمار وقوى راس المال ، شاهد فيها إرهاصات وبزوخ حركة المقاومة فى جواتيمالا ومع بزوخ الحركات ومشاهدات جيفارا بدأت تتشكل بداخلة امانى حول تحرير هؤلاء الفلاحين الفقراء الذين يعانون الشقاء والبؤس من جراء الاستعمار وملاك المزارع والمسيطرين على المناجم وموارد القارة. لقد تعرف خلال رحلتة على القارة وأحوال سكانها وتاريخ المدن التي زارها ويعلق على هذه الرحلة قائلا

" لقد أتاح لنا ذلك فرصة التعرف على الشعوب وكنا نشتغل كيفما اتفق لنحصل على نقود قليلة ثم تتابع رحلتنا لقد عملنا فى تحميل المراكب وتفريغها و بحارة وأطباء وغسالى صحون وكنا ماهرين فى تقشير البطاطس وغير ذلك من الأعمال العرضية السهلة وكان احدنا يحمل درجة جامعية والأخر يكاد أن يصبح طبيبا " و يقول في يوميات دراجة بخارية " أدركت أن هناك أشياء كانت فى الأهمية بالنسبة لي مسالة أن أصبح عالما مشهورا أو تقديم مساهمة كبيرة فى العلوم الطبية أدركت اننى ارغب في مساعدة هؤلاء الناس" لقد بدأت منذ هذه الرحلة تتبادر الأسئلة فى ذهنه حول حل التناقضات الاجتماعية وتحرير هؤلاء من الاستغلال وتحرير الأوطان وكذاك بدا يتسال كيف يمكن أن يقوم بدور وكيف يوفر للمحرومين احتياجاتهم لقد كانت روح جيفارا مثقله بالربو ومثقلة بشكل اكبر بإحساس كبير بالمسؤولية أمام الفقراء وجموع الكادحين ولعل عبارته "أينما كان الظلم فهذا وطني" توضح تلك الروح الإنسانية المحبة للبشر وفى خضم هذا كله أعطى جيفارا الأهمية الكبرى لمفاهيم لثورة وتنظيم الجماهير لانتزاع حقوقهم وأعلى من شان احتياجاتهم واقتنع بان لا معنى لاى كيان أو نظام اجتماعي لا يلبى احتياجات البشر وأمن بثقافة احتياجات البشر لتنتهي أنظمة اجتماعية وتأتى أنظمة جديدة كبديل لهذا البناء الاجتماعي والطبقي السائد، ففي عبارة له يقول " دعونا نبدأ فى محو كل مفاهيمنا القديمة "، لقد كان إيمان جيفارا بالجماهير من عمال وفلاحين وفقراء هو الأرضية الأساسية لتحريرهم،

فنجدة يقول " يجب أن نذهب بعقل فضولي وروح متواضعة لننهل من هذا المعين العظيم للحكمة الذي هو الشعب ".

ثماني اشهر قضاهم جيفارا فى يومياته فى إرجاء أمريكا اللاتينية بروح مقاومة وعقل متأمل يكتشف خلالها القارة التي اعتبرها وطنا واحد تتشابه فيهأراضيهم، تشترك فى المعاناة من الفقر والاستغلال والاستعمار، لقد رأى جيفارا الموت يزحف على العمال ورأى الفقر متجسدا فى المرض والجوع ورأى الظلم متمثلا فى أصحاب المزارع والمناجم والمستعمرين، رأى جيفارا مساحات واسعة من الكرة الأرضية عانت لقرون من السيطرة الاستعمارية وتوالت على دولها الانقلابات وتتقاسمها الدول الاستعمارية بقيادة أمريكا وتتقاسم البقية الباقية دول أوربا، ففي أمريكا اللاتينية 270مليون نسمة من السكان يعانون من تدنى مستوى المعيشة وسوء التغذية، يعانى أكثر من ربعهم من الإمراض، هذه هي أمريكا اللاتينية التي رآها جيفارا وجعلته يطرح الأسئلة المتعلقة بمن ينتج ومن يشقى ومن يستهلك الإنتاج ومن يسيطر على الموارد من ملايين الأفدنة التي يقوم الفلاحين بزراعتها تحت سياط المستغلين ومثلهم آخرين فى المناجم من عمال، رأى جيفارا الثروة المعدنية، وعمال المناجم الذين لا يجنون غير الشقاء، والمرض، والعوز، فبوليفيا مليئة بالقصدير، وشيلى بالنحاس والبرازيل بالحديد ولكن كل سكانها فقراء ومعدمين، والزراعة فى القارة يسيطر عليها 1.5% من السكان محتكرين نصف الاراضى الصالحة للزراعة والفلاحين إما إجراء أو مالكين لأراضى محدودة يضطرون فى اغلب الأوقات إلى الاستدانة لزراعة أراضيهم، ويعود مرة أخرى إلى السؤال الاساسى الذي طرحة جيفارا على نفسه من المنتجين والى أين يذهب الإنتاج كما أوضحنا أن المنتجين هم عمال المناجم والمز راع من إجراء وفلاحين وعمال بسطاء إما الإنتاج سواء فى المعادن أو الزراعة فأنة سيذهب إلى التصدير لا إلى السكان، فنتج عن هذه المعادلة فقرا متزايدا بشكل مستمر ونتج فى المقابل غنى فاحش للمالكين من أصحاب المزارع أو المناجم ومن هنا طرح جيفارا على نفسه حل التناقض القائم فى عملية الإنتاج وامن بضرورة تغيير هذا الشكل الانتاجى وتغيير علاقات الإنتاج وامن بضرورة نزع ممتلكات هؤلاء ووقف سيطرتهم على السلطة وتحقيق العدالة لصالح جموع المنتجين الحقيقيين الذين لا يجنون سوى الفقر والاستغلال.

مجمل هذه الأوضاع هي التي كونت شخصية جيفارا وبلورت رؤيتة الثورية الرومانسية وجعلت يتخذ طريقة النضالي بعد ذلك فى أماكن عديدة مستخدما تكتيك حرب العصابات وتعبئة الجماهير للسير فى طريق الاحتجاج

المسـاند لتلـك البـور الثوريـة بـدأت رحلتـه وكانـت هـذه المشـاهدات، هـي ابـرز المحطات التي شكلت جيفارا الإنسان والمناضل.

بعدها يـذهب1953 وبعد عودتـه إلـى "بونـو ايرس"و تـتم دعوتـه للخدمـة العسكرية ولكن لا يوديها لعدم مناسبته لها، وفي نفس العام يزورا لعديد من دول أمريكـا الاتنيـة، ويبـدأ يتعرف علـى بعض المجموعات اليسـارية فـى تلـك الـدول ويتناقش معها ولقد شغله كثير الوضع فى بوليفيـا، وجواتيمـالا.بعدها يـذهب إلـى جواتيمالا فى عام 1954 لينضمم إلى صفوف الثـوار هنـاك ولكـن سـرعان مـا تـم مواجهة الثوار من نظام " كاستيلو أرماس" بمعاونة الولايات المتحدة التي لعبت دورا فى القضاء على الثورة

تشي في جواتيمالا

كان يرى تشي أن ما يتم في جواتيمالا ثورة حقيقية متمثلة في خطوات كـان منها تطبيق الإصلاح الزراعي والحد من سلطة الاحتكـارات الأمريكيـة والسـعي للتعليم والقضاء على ألامية لذا توجه إلى هناك بحس نضالي يستهدف المساهمة في هذه الثورة، كانت حكومة الولايات المتحدة وشركائها من أصحاب الاحتكارات الرأسمالية يرون في الزعيم الجواتيمالى "اربنس" يد الإخطبـوط الشيوعي فـي القارة الاتنية، بينما كانت خطوات "اربنس" تسعى إلى إعادة مـوارد الدولـة إلـى أصحابها والحد من نفوذ الاستثمارات الأجنبيـة والاحتكـارات الرأسـمالية وبجـاة ذلك دفعت الولايات المتحدة ودعمت بقوة "ارماس " للإطاحـة بنظـام "اربنس" والذي ازداد عداء الولايـات المتحدة الأمريكيـة وقـوى راس المـال بجواتيمـالا لـه خاصة مع خطواته في دعم ومشاركة الحزب الشيوعي الجواتيمـالى فـي العمليـة السياسية، وسرعان ما نجحت خطوات المخـابرات الأمريكيـة فـي الإطاحـة بنظـام اربنس ليـاتى "ارمـاس " إلـى الحكم ويشن هجومـا علـى الثـورين الماركسـيين ونشـاط الحـزب الشـيوعي الجواتيمـالى وعـادت الأراضـي التـي تـم نزعهـا مـن الاقطـاعين ألـيهم مـرة أخـرى وكـان جيفـارا إيـذاء هـذه التحـولات العاصـفة فـي جواتيمالا يرى أن الحل الوحيد هو تسليح الشعب لكن اربنس وقف موقف العجز حيث لم يعطى أوامر إلى اعوانة لصد هجوم "ارماس" ورفض الجيش ساعتها الاشتباك مع محاولة الانقلاب التـي قـام بهـا ارمـاس نظرا لتخلخل نفـوز ارمـاس والمخابرات الأمريكية وأصحاب الاراضى والاحتكارات إلى الجيش بل

وطالـب الجيش فيمـا بعد بتقويض نشـاط الحزب الشنيوعي وشكل الجيش والاحتكارات و"ارماس "مثلث لإجهاض الحركـة الثورية فى جواتيمالا.

واستطاعوا أن يرغموا "اربنس" على التنازل عن السلطة وقام هذا التحالف بإدارة البلاد وحظر النشاط العلني للحزب الشيوعي فى جواتيمالا وضيقو الخناق على نشاط عمالة ونقابية ومن هذه اللحظة بدأت حملات القمع المنظم الذي وصل لحد انتشار عقوبة الإعدام في معظم البلاد على المتمردين، ولقد تم أدراج اسم جيفارا آنذاك ضمن العديدين من الأسماء التي رصدتها المخابرات الأمريكية على اعتبار أنهم أشخاص غير مرغوب فيهم وتم القبض على العديد من هؤلاء ولكن جيفارا استطاع عبر السفير الارجنتينى بجواتيمالا إلى الاختباء فى مقر السفارة الارجنتنية ليسافر منها إلى المكسيك وحينها قابل راول اخو فيدل كاسترو وانضم إلى فرقتهم الثورية لتبدأ رحلته النضالية في 1954 مع المقاتلين الكوبين وحتى سقوط "باتيستا" فى 1959 فى كوبا حلقة أخرى من حلقات النضال

الترحال والنضال فى كوبا

التقى تشي بكاسترو فى المكسيك وفى أول لقاء لهم قال تشي لكاسترو يسعدني أن أراك كمحرر فرد علية كاسترو قائلا " وضع باتيستا فى خطا – عندما اطلقو سرحنا ليعرض باتيستا طيبة قلية أمام الناس " واخذ فيدل ساعتها يتحدث طول الليل عن فترات السجن وعن أول إضراب لعمال زراعيين يقودهم ضد والدة وكيف أصبح ناشطا في حزب الشعب الكوبي مرورا بهجومه على سكنه "مونكادا " فى مقاطعة "ستنياغو". ، كانت كوبا مجهزة للقيام بثورة آنذاك ففيها عاطلين وعمالة زراعية وصناعية تعمل فى ظروف عمل شبه عبودية وتفتقد كوبا إلى الخدمات والمرافق، ويتحدث ارنستو إلى فيدل

" طالما أن القهر موجود فسيكون هناك من يناضل ضده"

كانت أحلام كاسترو فى ذلك الحين هو تحرير كوبا وكان يحدد عدة مهام ملحة، إذا ما نجحت الثورة حيث علية أن يقوم بإصلاح زراعي ويعيد توزيع أراضى لمن يزرعها ووضع قوانين تحمى العمال من وحش البطالة وكان يحلم أيضا بتوفير المرافق ،إضافة إلى توفير خدمات التامين الاجتماعي والصحي وتوفير السكن وقررايضا تأميم شركات الاتصال كان يريد هذا للشعب وتكون الثورة ملكا للشعب ويساندها الكوبيون، وكان جيفارا شديد الأيمان بضرورة تصفية الاستغلال باراضى أمريكا الاتنية كان يحلم بأمريكا حرة وكان يود أن يبذل قصارى جهده وكل ما بملكة فى سبيل هذا الهدف قائلا " أنا على استعداد للقتال ضد الطغاة فى كل مكان.

ومن هذه اللحظة انضم جيفارا إلى مجموعة تموز الثورية مع كاسترو ورفاقه، ليستمروا معنا ومنذ أول لقاء تم بين تشي وكاسترو من خلال "روال" اخو كاسترو وفى الحقيقة أن الاسمين ارتبط كلاهما بالأخر، نظرا لما خاضوه من نضال مشترك فى سبيل تحرير كوبا وطرد باتيستا والقيام بمهام البناء داخل كوبا والتي تولى جيفارا فيها بعض من المسؤوليات حتى اختار تشي الترحال مرات عديدة ورحل أخر مرة إلى بوليفيا ولم يعد ثانية حيث اغتالته ايادى السي اى أية في علم1967

يحكى جيفارا فى حوار أدلى به إلى صحفي ارجنتينى عن أول لقاء له بكاسترو بعد خروجه من جواتيمالا وصولا إلى المكسيك فارا من عملاء السى اى أية حيث التقى بمجموع 26 تموز فيقول " تحدثت إلى فيدل طوال ليلة بأكملها ومع فجر اليوم التالي أصبحت طبيب حملت المستقبل وفى الواقع وعلى ضوء تجاربي فى أنحاء أمريكا اللاتينية وبعد إطلاق رصاصة الرحمة فى جواتيمالا لم يتطلب الأمر كثيرا لكي أبدى اهتمامي بالانضمام إلى اى قوة ضد اى طاغية ولكن ينبغي عليا القول بان انطباعي عن فيدل بعد هذه المقابلة انه رجل غير عادى " لقد وضح جيفارا دافعة فى الانضمام إلى المجموعة الثورية الكوبية فى انه يود أن يكون ضد الاستبداد والطغاة فى اى مكان فى العالم ومن هذه للحظة بدا رحلة جيفارا مع كاسترو ومع المهام التي فرضها الوضع الثوري فى كوبا فى هذه الحين وخاصة بعد نجاح الثورة الكوبية وتحرير كوبا من يد باتيستا والاحتكارات الرأسمالية وسيطرة الولايات المتحدة

فى كوبا تنتصر الثورة ويطرد باتيستا

توجه الثور "مجموعة26 تموز " عبر سفينتهم "غرينما" إلى شواطئ كوبا وفى رحلة امتدت سبعة أيام كان الإرهاق والدوار ونفاذ الطعام أمور تواجهها المجموعة الثورية، لكن ذلك لم يمنعهم لحظة من التمسك بالحلم حلم الانتصار وتحرير كوبا آخذو يرددون نشيد مجموعة 26 تموز ونشيد كوبا الوطني حتى فى أحلك اللحظات، فى إثناء تقدمهم نحو الشواطئ الكوبية اندلعت الانتفاضة بقيادة" فرانكو بايس" الذي احتل مراكز البوليس فى "سنتياغو" وبعد أسبوع من الإبحار يصل الثوار على شواطئ "لوس كلدادوس" لينزلون على أحدى القرى وبعدها يستمرون فى السير نحو المدن لكن طلقات ومروحيات باتيستا لم تتركهم فى السير تقدما نحو المدن لقد أصيب فى تلك الموجهات العديد من المقاتلين كما أصيب جيفارا إصابة اشعرتة انه قارب على النهاية ولكن نجى ليكمل مع المقاتلين الطريق، لقد قام فيدل كاسترو فى احد المعارك بتمثيل دور جندي من جنود باتيستا أمام ثكنة ضمت عدد من جنود الديكتاتور وصدق جنود "باتيستا" هذه الخدعة وأدلوا لكاسترو بمعلومات عن أولئك الخنازير المتعاطفين

مع الثوار الأمر الذي مكن فيدل ورفاقة من رسم خريطة للمنطقة ومعرفة المتعاطفين معهم وعدد قوات الدكتاتور باتيستا وأماكن تمركزها ! واستطاع تشي ورفاقة في اسر الكثير من هؤلاء الجنود وقتل العديد منهم، الأمر الذي مكنهم من مواصلة التقدم والحصول على الأطعمة ومزيد من الأسلحة نتاج هذه المعركة ورغم شراسة المعركة إلا أن جيفارا لعب دور الطبيب للذين تم أسرهم من جنود باتيستا وقام بعلاج بعض منهم حتى أن احد الجنود سأل جيفارا هل ستقتلوننا ؟ فرد علية تشي " نحن لسنا قتلة، إننا نريد الإطاحة بالدكتاتور باتيستا إننا مناضلون من اجل الحرية ولا نؤذى أسرنا " هذه العبارات التي جعلت احد جنود الدكتاتور ينضم إلى المقاتلين فى صفوف المجموعة الثورية.

وفى خلال هذه المعارك لم ينسى جيفارا تدوين مذكراته وقراءة الشعر" لبابلو نيرودا "وسماع الشعر من الرفيق "موراليس" ولم يتخلى عن الحديث الرفاقى والممازحة، لقد انضم للثوار فى مجموعة كبيرة من الفلاحين نظرا لما قاسوه من الإقطاع وديكتاتورية باتيستا وحكمة القمعي الذي ترك البلاد ومواردها وأرضيها الزراعية ملكا للاحتكارات الأجنبية، لقد رأى الفلاحين فى تشي ومجموعته الثورية خلاصا لهم لقد انتابهم شعورا بان الثورة أتت لهم وكان الثوار يرفعون شعار " الأرض لمن يفلحها " والتي جذبت الفلاحين ودفعتهم إلى الانضمام إلى صفوف الثوار اخذ رجال حرب العصابات يتقدمون إلى أن وصلوا إلى" سانتى كلارا" ليكونوا فى مواجهة مع ثلاثة ألف جندي من جنود "باتيستا " ،وبدأت المعركة حيث استولى الثوار بدون أدنى مقاومة على المدينة الجامعية وأصبحت مقرا للقيادة وبدأت حرب العصابات فى المدن ونصب الكمائن للدبابات وشارك اهالى المدينة فى المعركة واعدو الزجاجات الحارقة، واستمر القتال ليحاصر قوات 26 تموز قطار يضم ثلاثة ألف جندي استسلموا للثوار تاركين كمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة، فى هذه الإحداث هرب باتيستا فى الأول من كانون 1959 وبدأت الخريطة السياسية تتغير، الولايات المتحدة تحاول تدارك الأمور عبر إبدال نظام باتيستا بنظام جديد عن طريق انقلاب فاشل بقيادة " كانتيلو" ليكون رئيسا لكوبا ولكن الثوار دعوا إلى إضراب شامل تزامن معه تقدم الثوار إلى العاصمة الكوبية هافانا ليحدو استقبالا رائعا من سكانها ولتبدأ سلسلة من الاستسلام المتواصل لجنود باتيستا الأمر الذي افسد محاولة الولايات المتحدة فى الإبقاء على مصالحها عن طريق دعم انقلابا كانتيلو

انتصرت الثورة واستطاعت أن تحتل وجدان الشعب الكوبي، عين كاسترو "ميروكادو" رئيسا للوزراء " وهو احد القيادات الرجعية فى سلطة باتيستا " كمناورة منه لمنع قيام انقلاب من قبل الجيش وبعد فترة قام كاسترو بحل الجيش والبوليس وأستبدلهم بجيش ثوري بدلا من أولئك الجنود الذين كانوا يقاتلون فى

صفوف جيش باتيستا وبدا كاسترو فى تسليح الشعب

وهناك بدا تشي في نشاطه الداعم لثورة كوبا فكان يرى أن" بناء المجتمع الجديد سيكون بمشاركة أفراد واعين وسيأخذ الفرد مصالح الآخرين بعين الاعتبار لأنهم اصبحو قوة، وليسو منافسين وكذلك سيشارك الجميع فى التغيرات الاجتماعية بنشاط مضاعف فى عملية الإنتاج النشيطة – ويعي انه ليس يعمل لنفسه فحسب ولكن أيضا من اجل كوبا وعلية أن يتقن العلم والتكنولوجيا من اجل استخدمها لتحقيق اهدافة ومن اجل تحرير اكبر عدد من البشر من العمل الرويتينى حتى يتمكنون من العمل والإبداع فى البناء ،ويضيف جيفارا فى متطلبات بناء المجتمع الجديد بكوبا فيقولا " من الضروري الانتصار على الإرادة الذاتية وعلى عدم الانضباط وعلى أنانية البرجوازية الصغيرة وعلى تلك العادات التي ورثها العمال والفلاحين من المجتمع القديم، لقد كان تشي سفيرا للثورة ورسولا للتضامن الاممى ضد قوى الامبريالية، قابل سلفادور الليندى زعيم الحزب الاشتراكي بتشيلى ورنيسها الذي تم اغتياله فيما بعد والشاعر بابلو نيرودا وعبد الناصر وذهب إلى مصر والجزائر والكنغو والصين والاتحاد السوفيتي وغيرها من البلدان، وخلال حركته تمسك تشي بالتضامن الاممى تجاه الشعوب التي تعانى من الاستعمار وكان يرى أن ظروف أمريكا الاتنية مهنية للقيام بثورات تحررية مشابهة لما حدثت فى كوبا وبنى تصورته تلك على العوامل الموضوعية التي تتوافر في جواتيمالا البرازيل وفنزويلا وكان يرى أن البرجوازية في تلك البلدان والبلدان المشابه لها في الظروف لم تقم باى دور فى مواجهة الامبريالية وان تلك البلاد إضافة إلى وضعيتها كدول محتلة ومستغلة من قبل الاحتكارات فأنها فى ذات الوقت تعانى من تفاقم الأوضاع الاجتماعية، ولعل تلك الأفكار وايمانة الراسخ بضرورة تحرير الشعوب ومحاربة الطغاة هو الذي دفعة للذهاب إلى بوليفيا

ولم يقتصر دورة طوال فترة وجودة فى كوبا فى القتال فحسب ولكنة لعب دورا هاما فى العلاقات الخارجية وخلق جبهة للتضامن العالمى ضد قوى الاستعمار وتولى كذلك بعض المهام كان منها منصب رئيس المصرف الوطني فى سنة 1959، ووزارة الصناعة (1961 -1965).، وزيرا للاقتصاد، ولقد ناضل تشي مع رفاقه لبناء كوبا حيث بدا فى نسج علاقات مع البلدان الاشتراكية وبدا فى مهام البناء والتصنيع وقام بتطبيق سياسات الإصلاح الزراعي واهتم بتربية الكوادر الشبابية وفى العمل الحزبي داخل الحزب الشيوعي ولقد قام إثناء هذه الفترة بدورا امميا فى مساندة حركات التحرر الوطني فى أفريقيا وأمريكا الأتنية وأبدى اهتماما كبير بالقضايا العربية والأفريقية، وكانت المحطة قبل الأخيرة في عملة الاممى ذهابه في الكنغو ليساعد فى تحريرها، بينما انتهى نضاله في

بوليفيا حيث لقي مصرعه في يوم 9 أكتوبر 1967 اغتيل تشي جيفارا بأيدي الجيش البوليفي ومستشارو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA التي خصصت له فرقا مدربة لمقاومة البور الثورية هناك فى ظل حالة تراجع من قبل الحزب الشيوعي البوليفي الذي ترك جيفارا وحدة فى الغابات يقاتل وجعل مقاتليه يقاتلون بمفردهم، ثم سرعان ما ترك الحزب الشيوعي البوليفي بزعامة ماريو مونجي جيفارا ولم يعبا بتعبئة عمال المناجم ليكون قوة دفع للبور الثورية المقاتلة

الاشتراكية والإنسان في فكر جيفارا

كان جيفارا شديد الأيمان باحترام إنسانية البشر بل أن دافعة النضالي تجسد فى هذه الفكرة " احترام الإنسان الفرد لأنه أهم بكثير" ولعل ذلك هو ما قربة من وجودية سارتر ولقد واجه جيفارا الهجوم الذي شنته إليه الرأسمالية حول تطبيق الاشتراكية وإذا ما حاول اى نظام سياسي تطبيقها فانه ينفى الفرد الإنسان لصالح المجتمع أو الدولة وحاول توضيح ذلك مهاجما الفكرة القائلة بتضحية الفرد على مذبحة الدولة فى مرحلة التطبيق الاشتراكي وضح جيفارا فى الاشتراكية والإنسان فى كوبا أن الإنسان الفرد كان هو العامل الاساسى لنضال اليومي رغم أن الاشتراكية في حينها مازالت أسيرة أذهان المقاومين فحسب.

وذكر تجربة فيدل كاسترو فى كوبا وكيف كان يستخدم ما يسمى بطريقة "شبة حدسية " والتي تنحصر فى معاينة ردود أفعال الجماهير تجاه المشكلات المطروحة

ويذكر لنا أيضا " من الأمور الصعبة بالنسبة لمن لا يعيش تجربة الثورة أن يفهم ذلك الجدل الوثيق القائم بين كل فرد والجماهير وذلك التفاعل بين الجماهير وقادتها" ويستمر جيفارا فى اتكاءه على أهمية الإنسان فى البناء الاشتراكي حيث هو الاعتماد الاساسى فى البناء وهو المستهدف من حركة الثورة الكوبية " وفى سبيل بناء الاشتراكية يقول جيفارا " علينا أن نحارب الماضي بقسوة حيث لا يتردد صداه في الفترة الانتقالية التي تدوم فيها العلاقات التجارية وعندما يتحدث عن تحديد لهوية الحكومة والجماعة يتحدث عن الإنسان ــ الفرد فيقول " قمنا ببعض التجارب دون تسرع كبير بهدف خلق مؤسسات الثورة بصورة تجريدية، وكان لاجمنا الأول الخوف من أن تفصلنا علاقة صورية عن الجماهير، وعن الفرد ولا يفقدنا أهم مطمع ثوري مطمع تحرير الإنسان، ويضيف أن الإنسان أكثر كمالا فى النظام الاشتراكي ــ ومازال من الضروري زيادة اشتراكية الوعي الفردي والجماعي في آليات الإدارة والإنتاج "

لقد قدم جيفارا رؤيتة حول الاشتراكية فى أكثر من موضع فنرها يقول " إننا لا نرى تعريفا أخر للاشتراكية سوى إلغاء استثمار الإنسان للإنسان ومادام ذلك لم يتحقق سوف نظل فى مرحلة البناء الاشتراكي "

الإنسان الذي نسعى إليه

يتحدث جيفارا عن الإنسان النموذج الذي لابد أن يكون موجود ينبغي أن لا يكون هذا الإنسان هو إنسان القرن التاسع عشر أو العشرين بل هو إنسان القرن الواحد وعشرون، بذلك فقد قمنا بجلبا ثمينا للماركسية اللينينيه ويضيف جيفارا "أن الجماهير الكبرى التي ينمو وعيها والإمكانيات المادية لتنمية جميع اعضائة تنمية كاملة بجعل عملنا مثمرا أكثر" ويتحدث عن الفن والثقافة مشددا على ضرورة توسيع حقل الثقافة وامتلاك إمكانيات التعبير ليخلق المجتمع فنانين اثتثنائين ويبين جيفارا أن خلق مثل هذا الإنسان لا يتطلب الحرية وإشباع الحاجات فحسب وإنما يتطلب وقتا طويلا يستطيع المجتمع أن يفرز الثوريون الذين سيشيدون الإنسان الجديد بصوت الشعب الحقيقي ويلقى جيفارا العبء الأكبر والمستقبل لجيل الشباب فى كوبا لخلق ذلك الإنسان المتحرر من عيوب الماضي، ويضع جيفارا عبئ كبير على الحزب الشيوعي فى بناء الاشتراكية.

حول مفهوم الحزب

وفى معرض حديث جيفارا عن كتاب الحزب الماركسي اللينينى لكاسترو يتحدث جيفارا مبيننا لنا مفهوما عن الحزب الشيوعي " قائلا انه أفراد جمعتهم وحدة الأفكار مشكلين جماعة لإحياء المفاهيم الماركسية اى لإتمام الرسالة التاريخية للطبقة العاملة، ولقد وضح جيفارا شروط البناء الحزبي كتواصل الحزب مع الجماهير بشكل دائم وممارسة النقد والنقد الذاتي،مؤكدا أن الطليعة الثورية للحزب الشيوعي لابد أن تكون الطبقة العاملة والتي تقوم بدور عظيم لخدمة مهام البناء كما يوضح أهمية وجود قيادة تمتلك الوعي الذي يساعدها في تحديد متى تتقدم لخلق أوضاع جديدة فى حالة نضوج الأوضاع الاجتماعية والظرف الذاتي لها والظروف الموضوعية وكيف تضبط حركتها فى حالي التقهقر الاجتماعي ليحافظ الحزب الشيوعي على كوادره لمعاودة الحركة فى موجة أخرى من موجات الحركة والمواجهة الطبقية.

ولقد حددت الجيفارية بشكل واضح موقع الطبقات من النضال السياسي لتنفيذ مهام الديمقراطية الوطنية والتنمية ومهام التغير الثوري والبناء الاشتراكي

حيث وضح الدور المتخاذل للبورجوازية التي تقف في حيرة بين الانضمام إلى صفوف الامبريالية أو صفوف القوى الوطنية والتي تحسم أمرها بانضمامها إلى صفوف الامبريالية والتي تحفظ بذلك بقائها ونفوذها وسلطتها حيث لا تريد البراجوزية التهديد وتغير نمط الإنتاج الراسمالى السائد في المجتمع والذي سياتى حتما ضد مصالحها.

وفي مقالة كتبها تشى عام 1960 حول الثورة الكوبية والظروف على الصعيد الدولي والمحلى يبين لنا موقف البرجوازية التى شاركت بعض منها في الثورة أو على الأقل لم تتخذ موقفا عدائنا واضح " سعت البرجوازية معنا بحثا عن حلول تتيح عن طريق التفاوض استبدال نموذج باتيستا بعناصر أخرى للإشراف على الثورة – ولم يكن عجيبا تتخذ بعض القوى موقف الحياد " مبيننا لنا ان البرجوازية لن تستطيع ان تتخذ موقف الصمت في مواجهة الثورة ولكنها ستختار أن تنضم إلى الامبريالية موضحا موقف البرجوازية المعادى للانتفاضة الشعبية ذاكرا ان البرجوازية إذا خيرت بين الانتفاضة الشعبية والانضمام للامبريالية ستنضم إلى الصفوف التي تضمن مصالحها من القوى الامبرالية والرأسمالية والاحتكارات،ويذكر أيضا في ذات المقالة " ان البرجوازية لا تتردد فى التحالف مع الامبرالية والإقطاع ضد الشعب وضد الثورة ".

الكادر

ولقد أولى تشي إلى الكوادر مهام ودورا كبيرا داخل العملية النضالية

موضحا انه لابد و ان يعطوا المثال فى التفاني والتضحية والحمية فى العمل ليمكن مواجهة الأعداء الطبقيين الذين نزعت ملكيتهم أولئك أعوان الاستعمار والقوى المستغلة التى صودرت مزارعها ومناجمها عند قيام الثورة لأنها سوف تسعى مرة أخرى بشكل دائم إلى محاولة أعادة سرقة موارد كوبا مرة أخرى.

وتحدث عن كيفية تربية الكادر الحزبي ليمارس دورة الثوري فى مهام البناء الملقاة على عاتقة ويرى جيفارا فى مقالة بعنوان " داخل الثورة " نشرة عام 1962 ان بناء الكادر الثوري لا يتم إلا في خلال العمل اليومي بشكل منظم يضمن تقدمه الايدلوجى وتكوينية السياسي ويوضح أن الكادر ليس ذلك العضو الذى يتمتع ببناء سياسي رفيع أو فهم ايدلوجى وتحليل للواقع فحسب وإنما هو الذي يمتلك ذلك إضافة إلى المسؤولية الشديدة والانضباط فى أفعالة وتصرفاته في ممارساته مع الجماهير ويؤكد جيفارا أن حركة الجماهير داخل الحزب الثوري وخلال التقاء الحزب وتواصله المستمر مع الجماهير ستفرز أفضل الكوادر – مركز على الدور الديناميكي الذي لابد أن يلعبه الكادر الثوري حيث يفترض ان

يكون فى حالة تعاون خلاق ومثمر مع الجماهير والرفاق داخل الحزب.

وحمل جيفارا الطليعة الثورية للحزب الشيوعي الجهد الأول " يجب ان يقوم القادة بدورهم بدون انتظار لمكافأة مادية – ان الثوري الحقيقي ينقاد لمشاعر كريمة ويستحيل وجود ثوري أصيل دون هذه الصفة ويضيف " يجب أن ترتفع طلائعنا الثورية إلى المثالية بحبها للشعب والقضايا المقدسة "

وفى خطابة الذي ألقاه في اجتماع مع شبيبة الحزب الشيوعي الكوبي فى عام 1962 أكد أن الطليعة الثورية والشبيبة هما التنظيم الذي تتطلبهم الثورة للقيام بمهامها لما تتوافر داخلهم القدرة على البذل والعطاء وتقديم الجهد والتضحية فى الدفاع عن الثورة عبر التنظيم الجيد الذى يحقق تحويل الأفكار والمبادرات إلى واقع ملموس ذاكر " أن الأفكار بلا تنظيم تفقد فعاليتها بعد لحظة الوثبة الأولى وتسقط شيئيا فشيئيا فى الروتين وفى النزعة التوافقية وينتهي بها الأمر إلى إن تصير مجرد ذكرى "

وأكد أيضا على عوامل وشروط للنهوض بالعمل الحزبي للطليعة الثورية ولشبيبة الحزب الشيوعي كوجود حالة من الجدل والحوار الديمقراطي لتبادل التجارب والأفكار بصورة مستمرة.

ويضيف جيفارا " يجب على الشباب الشيوعي أن يكون ذا حس مرهف بالواجب نحو المجتمع ومع أمثالنا من البشر ومع الناس فى العالم كله أين كان مبعث هذا الظلم يجب ان يتمرد على كل ما هو ظالم ". ولا ينسى جيفارا فى كلمته التأكيد على الموقف الثابت من الأيمان والممارسة للبروليتارية الأممية والتضامن اللامحدود في سبيل عالم أكثر عدلا وحرية.

ويستشهد جيفار ببعض من عبارات " فيدل كاسترو " عن الماركسية " من قال ان الماركسية هي انعدم المشاعر الانسانيه الرفاقية – واحترام الرفاق – أن حب الإنسان هو الذي أوجد الماركسية فحب الإنسان والإنسانية والرغبة فى محاربة البؤس والظلم والعذاب والاستثمار الذي تعانيه الإنسانية هو الذي ولد الماركسية فى ذهن كارل ماركس "

ويوضح جيفارا أن الشيوعي الحقيقي هو الذي انضم للحزب الشيوعي ليكون كائنا إنسانيا حقا يترجم افكارة من اجل الجماهير من عمال وفلاحين وفقراء من اجل محاربة الفقر والبؤس والاستغلال ومن اجل مناهضة الاستعمار والهيمنة وليخلق عالم بديل ويمضى فى الطريق لإشباع حاجات البشر وتمكينهم من إنسانيتهم ونفى الظلم عنهم وعبر حركتهم الجدلية مع الحزب الثوري للمضي فى طريق التغير الجذري الذي يضمن مشاركة الجماهير فى الإنتاج والقرار والسلطة وخيرات الوطن.

التضامن الاممى فى فكر جيفارا

بلا شك ان جيفارا من أهم من رسم للتضامن الاممى والفكرة الأممية عالميا فقد كان عمليا يمارس هذا الفكر الاممى بحسه المتدفق لتحرير كافة البشر من الاستغلال ولخلق عالم يبنيه الفقراء والكادحين بأيديهم لذا كان جيفارا الأبرز ومن أهم الشخصيات التي رسخت هذا، عشق الترحال بعثا عن الثورة وتفجيرا لها مهما تعاظمت المصاعب وحتى حين تستحيل الامانى، حتى أن الحزب الشيوعي السوفيتي اعتبره رجل من طراز خاص، ولا يمكن إنكار دور جيفارا فى عقد مؤتمر الثلاث قارات والذي عبر عن حركة التحرر المتصاعدة فى أفريقيا واسيا وأمريكا ألاتينية.

رحل جيفارا من الأرجنتين إلى كوبا و ذهب إلى بوليفيا وتشيلي والكنغو وكولومبيا وجويتمالا ومصر والجزائر وحاول تدعيم أواصل التعاون مع كل حركات التحرر الوطني

والجبهات والقوى التي تواجه الاستعمار بكافة اشكالة ويؤكد جيفارا على الدور الاممى الذى لابد ان تلعبه اى قوى ثورية حيث يقول " إذا حماستنا بعد ان تحققت المهام الملحة على النطاق المحلى إذا نسى الأممية البروليتارية – كفة الثورة عن ان تكون محركا وتغرق فى خمول صريح تستفيد منه أعدانا الامبرياليون، أن البروليتارية الأممية واجب.

يؤكد جيفارا على البعد الاميمى من منطلق الضرورة ومن قبل الضرورة من منطلق يؤمن بالإنسان – حيث يقول – يجب ان نناضل كل يوم ليتبدى هذا الحب الانسانى فى وقائع ملموسة.

كان يرى جيفارا ان انطلاق شرارة الثورة فى بلد ما، ما هي إلا خطوة لتحرير البشرية جمعاء وان نضال شعب ماء هو سهم موجة إلى القوى الاستعمارية التى تستغل الشعوب

يقول جيفارا فى مقالة "فيتنامين أو ثلاثة ذلك هو الشعار " – ان عملنا كله صرخة حرب ضد الامبرالية ونداء مدوي لوحدة الشعوب ضد العدو الكبير للجنس البشرى " حينما نتأمل عبارة جيفارا اننى أحس على وجهي بألم كل صفحة توجه على مظلوم فى الدنيا "وأيضا "أينما وجد الظلم فهذا هو وطني" نعى جيد كيف كان جيفارا منتمى لشى واحد هو الإنسان - تبنى الماركسية وامن بالاشتراكية العلمية مدافعا عن البشر وعشق الترحال من اجل الجماهير المستغلة مؤمنا بها محاربا من اجلها طامحا دوما بان تكون تلك الجماهير قادرة على تحرير نفسها

مكن نيل الاستغلال وان تدفع المقصلة عن رقبتها لتضعها على روس القوى المستغلة والاستعمار

ببساطة يعلن جيفارا عن انتمائتة قائلا " اننى انتمى إلى الجموع التي دفعت قهرها هرما – أنا انتمى إلى الجياع ومن سيقاتل ".

ويدعونا أن نتحمل مسؤولية تجاه ما يحدث فى العالم يدعونا بان نكون لنا موقف لا تمنعه الحدود ولا المسافات ولا اختلافات اللغة والديانة والجنسية انه يدعونا لمساندة كافة الشعوب التي تقاوم الاستعمار والاستبداد، انه يدفعنا لنكون يد واحدة ضد الأمركة وهيمنة الرأسمالية والشركات متعددة الجنسيات، لا يطالب بدور تضامنيا فحسب ولكن كدور أصيل وكمسؤولية لا تنفصل " لا تستطيع أن نقف مكتوفي الايدى حيال ما يحدث فى كل مكان فى العالم لان انتصار اى بلد على الامبرالية هو انتصار لنا تماما – ان هزيمة اى بلد هي هزيمة لنا ".

يؤكد جيفارا موقفة الاممى أيضا في مقالة له ألقاها في هافانا سنة 1962 فى ذكرى استشهاد احد مناضلي كوبا حيث قال " مادام فى أمريكا او ربما اى مكان أخر شر ينبض قهره وخطا يجب تقويمه فان الثورة لن تتوقف، ان عليها ان تتابع مسيرتها إلى الإمام وان تتعرف بعمق على جميع المشاكل وأعمال الاضطهاد فى هذا العالم الذى نعيش فيه ان عليها ان تحس بألم الشعوب التي رفعت راية الحرية ضد عسف القوى الاستعمارية ، هناك أيضا في أفريقيا واسيا وكل مكان يمتشق فيه شعبا السلاح ويحفز للنضال ويردد القادة الوطنين شعارات الحرية ضد الظلم والعسف الاستعماريين.

"ويضيف المسؤولية الملقاة على القوى التحريرية " ان شعبنا واجة الامتحان الذى واجه شعبا لا يمكن ان يقف لا مباليا أمام أي ظلم فى اى مكان فى العالم ويطلق جيفارا الأمل الثوري في تحرير الشعوب ويؤكد على الطابع التقدمي لحركة التاريخ وان تعطلت أو خسرت الشعوب في نضالها بعض المعارك كما حدث مع " باتريس لولومبا "ولكنة يؤكد فى ذات الوقت "استحالة وقف تقدم الشعوب "

وبعد انتصار الثورة وتحديدا فى مقالة عن فيتنام يقول جيفارا "كل شعب يباشر نضالة يبدأ كذلك فى حفر قبر للامبريالية ويجب أن ينال منا كل مساعدة وكل أعجاب "

هكذا كان مؤمنا جيفارا بعالمية الثورة مساندا لكافة القوى التحررية وكافة الشعوب التى تواجه الحلف الاستعمارى فنجدة يتجول فى مقولاته ما بين الجزائر والكنغو والصين وفيتنام وكوريا والجزائر مساندا موجة التحرر الوطني وراسم خط تكون فيه قوى التحرر نقاط ممتدة ومتصلة لمواجهة الخط الاستعماري بقيادة

أمريكا وحلفائها.

موجها نقد لأمريكا والدول الرأسمالية التي تسعى دوما للسيطرة على الأسواق فى المؤتمر العالمي للتجارة والتنمية بجنيف والذي عقد فى 23 مارس 1964 حيث أشار جيفارا فى نهاية كلمته " ستنصرف جهودنا إلى وحدة بلدان العالم النامية لتكون جبهة موحدة إننا نضع أمالنا كلها فى أنجاح هذا المؤتمر وسننضم بحرارة إلى الفقراء فى هذا العالم واضعين قوانا الضعيفة كلها فى خدمة انتصارها.

وفى خطابة أمام الأمم المتحدة فى الدورة التاسعة عشر يوجه جيفارا التحية لكل الشعوب المناضلة وجنوب أفريقيا والصومال والشعوب العربية فى فلسطين وعدن وعمان وجميع الشعوب التى تكافح الامبرالية، وفى ذات الخطاب يهاجم الولايات المتحدة الأمريكية والقوى والاستعمارية ونهجها الاستعماري فيتحدث قائلا " وتتدخل قوات الولايات المتحدة تدخلا ملموسا فى قمع الشعوب ـ فنزويلا وكولومبيا وجواتيمالا التي تناضل فى سبيل حريتها وتمارس الشركات الأمريكية التي حملت فيها جميع أنواع الضغوط لزيادة التغلغل المباشر.

وفى مقولة له أيضا يؤكد على ليس هناك ثمة شعوب ضعيفة إذا وجد التضامن الاممى الحقيقي ويؤكد انه لا عزل للشعوب التي تناضل لتكون جبهة واحدة ضد الامبريالية ويتحدث جيفارا قائلا " لا يوجد شعب ضعيف ـ فى أمريكا ـ لأنة جزء من عائلة تعددها مائتين مليون طفل يتألمون من البؤس ذاته ويحسون بمشاعر ذاتها ويعادون العدو ذاته ويحظون بتضامن من جميع الشرفاء فى العالم.

وكانت فكرة الأممية دوما محط تركيز من جيفارا ،لم يخلو خطاب أو مقال من مقالاته من طرح الموقف الاممى، لقد طرح تشى فى خطابة حول الحزب الماركسي أراء متعلقة بمسؤوليات ووجبات الحزب الشيوعي والتي كانت الأممية احد أركان هذه المهام والمسؤوليات فيتحدث قائلا " لا يمكن أن يقتصر عملنا على أطار أمريكا والبلدان الاشتراكية ـ يجب ان نمارس الأممية البروليتارية الحقيقية ـ مؤكدا هنا على أن اى إهانة أو اعتداء على دولة ما لابد أن يوضع كهم لكافة الشيوعيين ويضيف جيفارا "''' أن اى فعل يتنافى مع كرامة الإنسان وسعادته فى اى مكان فى العالم ـ لابد أن نكون مهتمين به.

جيفارا وأفريقيا

لقد كانت صورة أفريقيا مثيلة لصورة أمريكا الاتنية حيث اعتبر جيفارا ان

هناك تشابها كبير فى الظروف الاقتصادية والاجتماعية إضافة إلى أن القارتين تعانى من مرارة الإقطاع وهيمنة راس المال وكلا الشعبين يعشون فى ظروف بالغة القسوة من المرض والجهل والعوز والاستغلال، ولقد كتب عن مدى التشابه في الموسيقى وطريقة وأساليب الحياة فى القارتين و كتب مقالة بعنوان التواصل الفني بين أمريكا الاتنية وأفريقيا.

لقد لقيت أفريقيا اهتماما كبير من جيفارا فنجدة يتحدث فى خطابة أمام الأمم المتحدة فى دورتها التاسع عشرة فى سنة 1964 قائلا " إننا نرفع أصوتنا مرة أخرى لننذر العالم بما يجرى فى أفريقيا حيث تطبق سياسة التميز العنصري على مراء من أمم العالم ويضيف أيضا فى ذات الخطاب " أود التحدث عن حالة الكنغو المؤلمة الحالة الوحيدة فى تاريخ العالم الحديث التى تظهر كيف يمكن ان ينتهك حق الشعوب بوقاحة لا تعرف حدود ويوضح أسباب هذا الميل الاستعماري والذي يريد السيطرة على مقدرات الكنغو وكما لا تنسى رحلة جيفارا إلى الكنغو ونضاله في تكوين البور المقاتلة رغم حالة الإخفاق التي منى بها جيفارا هناك إلا أن ذلك لا ينفى عطائه واهتمامه بالشأن الافريقى.

وفى مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى تحدث أيضا جيفارا عن أفريقيا وشغل الحديث عن القارة السمراء شقيقة أمريكا الاتنية حيزا كبيرا،

كما ذكر جيفارا فى أكثر من مقالة ومؤتمر افريقيا فنجدة فى خطاب الجزائر مثلا يتحدث عن الكنغو وسياسة استخدام القوة لتغير اى نظام تحرري يناهض الاستعمار ويفضح تشي مخططات الامبريالية التي ترمى إلى الهيمنة على موارد القارة والتي تسعى بشتى الطرق للهيمنة والسطو على خيراتها

مختارات من أعماله

* جيش الشعب حرب الشعب
*مع الثوار فى كل مكان
*ضد البيروقراطية
* من هو الفدائي

"

جريدة الحزب الشيوعي الكوبي

ـ خطاب حول الطب الثوري ترجمة: دينا ابو المعارف

"خطاب حول الطب الثوري"

هذا الاحتفال البسيط واحد من بين المئات من الاحتفالات العامة و التي يحتفل الكوبيون معها يوميا بحريتهم التي تتمثل في نجاح كل قوانين ثورتهم و تقدمهم عبر الطريق الذي يضمن إتمام استقلالهم و ذلك من أعظم اهتماماتي.

تعلمون أغلبكم إنني بدأت عملي كطبيب منذ سنوات مضت و عندما درست الطب كانت اغلب أفكاري التي امتلكها اليوم كثوري غائبة عن مخزون مثاليتي، كأي شخص أردت النجاح وحلمت أن أصبح طبيب مشهور و حلمت أن اعمل بإصرار لاكتشاف شئ يخدم البشرية و لكن كل هذا نجاح شخصي لي فحسب، لكنني فضلت ان أكون مثل الجميع ابن لوطني

لقد زرت لحد ما، كل بلاد أمريكا اللاتينية، ما عدا "هايتي" و"سانتو دومينجو". وكانت الظروف التي أحاطت بترحالي، في المرة الأولى كطالب، وفيما بعد كطبيب، سببا في تعرفي عن قرب بالفقر، والجوع، والمرض؛ بالعجز عن علاج طفل بسبب الحاجة إلى المال؛ بظلام العقول الذي يخلقه الحرمان المستمر والمعاملة القاسية، لتلك الدرجة التي يستطيع الأب فيها أن يقبل موت احد أبنائه كأمر عادي غير مهم، كما يحدث غالبا في الطبقات السفلى المطحونة في أمريكا موطننا الأم. بدأت وقتها إدراك أن هناك أشياء كانت مساوية في الأهمية بالنسبة لي كأن أصبح عالما مشهورا أو حتى مساوية لتقديمي مساهمة كبيرة في العلوم الطبية: رغبت في مساعدة هؤلاء الناس.

بدأت أن أكون مشاركا مهتما كأبناء وطني و أردت أن أساعد هؤلاء الناس بمهوداتي الشخصية و لقد سافرت بالفعل مرات عديدة، وعندما كنت في "جواتيمالا" بدأت أن اكتب بعض المذكرات كمنهجها لسلوك الطبيب الثوري بدأت ان ابحث عن ما احتاجه لكي أصبح طبيبا ثوريا.كان _فوستر ارماس_ مع دميتهم "كاستيو " وشركة الفاكهة المتحدة هم من بدوا الاعتداء لكن الناس كانوا بحكم عدم مشاركتهم لم يستطيع الدفاع عن حقوقهم كما فعل شعب كوبا الان .

بعدما أدركت شئ أساسي لأجل أن يكون المرء طبيب ثوريا أن يكون ثوري بشكل عام يجب وقبل كل شي أن توجد ثوره وان يستبعد الحل أو السعي الفردي.

ثم أدركت شيئا أساسيا: لا يمكن ان يكون هناك طبيبا ثوريا على الإطلاق، إلا في حالة وجود وضع ثوري، المساعي الفردية المنعزلة، فى ظل نقاء المثل، هو أمرا غير مجدي، وأيضا الرغبة في التضحية بالعمر فى سبيل أنبل المثل لا يخدم

ولا يمكنه خدمة اى هدف إذا كان العمل فرديا، في ركن من أركان أمريكا الاتنية، ومواجهة الحكومات غير مجدية أيضا فى ظل ظروف وأوضاع اجتماعية تحول دون إحراز تقدم فى عملية التغير الاجتماعي. ولخلق ثورة كثورتنا لابد ان يكون هناك شعبا يعرف قيمة القتال ويستطيع حمل السلاح ويستطيع ان يدرب الوحدات القتالية ويعرف قيمة الوحدة وقيمة النضال المسلح.

و ألان وصلنا إلي محور المشكلة التي تكلمنا عنها في ذلك الوقت انه خير للمرء ان يطالب بحقوقه ويعي أن الواجب فوق كل شي فلذاك فان الطبيب الثوري هو الرجل الذى يستطيع استخدام معرفته لخدمة أهداف الثورة والشعب لكن الان الأسئلة القديمة اختفت كيف يمكن للمرء فعلا أن ينفذ عملا من أعمال لرفاه الاجتماعي؟ كيف يوحد المرء المسعى الفردي مع احتياجات المجتمع؟

يجب أن نراجع مره أخري كل حياتنا ماذا فعلنا و نفكر كأطباء أو في أي عمل تعلق بمجال الصحة العامة، قبل الثورة يجب أن نفعل ذلك بحماس مفعم وعميق لنضال أخر ونصل إلى استنتاج أن اغلب كل الأشياء التي فكرنا وسعينا إليها في الفترة الماضية يجب أن تكون مودعه في أرشيف و ونخلق إنسان جديد يصنع،و لو كل فرد منا بذل أقصي مجهوده فى اتجاه تكامل هذا الإنسان الجديد فسيكون حينها من السهل للشعب أن يخلقه ويجعله مثال لإنسان كوبا الجديدة .

من الجيد ان أؤكد لكم سكان هافانا الحاضرين هنا هم نواة الإنسان الجديد، ليس فى كوبا فحسب ليس فى العاصمة فقد لكنه وجد في كل أنحاء البلاد، انتم ذهبتم إلى "سيرا مايسترا " في السادس و العشرين من يوليو ولابد أنكم رأيتم شيئين غير معلمين لديكم، الأول هو جيش من الفؤوس و المعاول والثاني هم قادتهم الحربين يمشون بأسلحتهم المنكسة، جيشا أعظم فخرا له هو ان يصطف في الاحتفالات الوطنية في"اورينتا "، لكن يجب أن تكونوا قد شاهدوا شئ أكثر أهميه يجب أن تكونوا شاهدوا الأطفال الذين بنيتهم الجسمانية جعلتهم يبدون فى سن عشر أو ثماني سنوات مع أن اغلبهم ممن بلغو سن ثلاث أو أربع عشر عاما هؤلاء الأطفال هم أبناء "سيرا مايسترا" الحقيقيين الذين عانوا من الجوع والبؤس وسؤ التغذية.

في كوبا ألصغري بقنواتها ألتلفزيونيه الأربع أو الخمس و مئات من محطات الراديو ومع كل هذه الإمكانيات من العلوم الحديثة عندما وصلوا هؤلاء الأطفال إلي المدرسة للمرة الأولي في الليل رأوا لمبات الضوء الكهربية دهشوا أن النجوم كانت منخفضة جدا ذلك المساء، أولئك الأطفال يجب أن تكونوا رأيتموهم من قبل يتعلمون في مدارس مجمعه مهارات تنحصر بين القراءاه و التجارة و حتى العلوم المعقدة ليصبحوا ثوريين

هؤلاء الناس الجدد ولدوا في كوبا ولدوا في مناطق منعزلة في أجزاء مختلفة من " سيرا مايسترا" و أيضا في التعاونيات و مراكز العمل ويحتاجون إلى الكثير إضافة إلى ما تحدثنا عنه اليوم، ولكي يندمج الطبيب، في الحركة الثورية فعلية تحمل أعباء تعليم وإطعام الصغار، مهمة تثقيف الجيش، مهمة توزيع الأراضي من الملاك الغائبين السابق لمن عمل كل يوم فى ارض دون ان يأخذ ثمن عرقه، وتلك هي إنجازات الطب الاجتماعي الذي سننجزه في كوبا.

والأساس في الحرب ضد المرض هو تبني فكرة خلق جسد قوي لكن ليس صنع جسد قوي بواسطة عمل فني لطبيب علي بنية ضعيفة اى صنع جسد بالعمل الكلي للمجتمع

في يوما ما ستحول الطب إلي علم يخدم الأمراض المستعصية ويوجه الجمهور نحو تحمل أعباء بعض المهام الطبية.ويقتصر تتدخل الطب فى حالة الضرورة القسوة، لأداء عملية جراحية أو أي شيء آخر لا يستطيع أفراد الشعب القيام بها. في المجتمع الجديد الذي نبنيه

العمل الذي يمكن وزارة الصحة و المنظمات المشابهة تلك إلى توفير خدمات الصحة العامة لأكبر عدد ممكن من الناس و تنظيم برامج الطب الوقائي و توجيه العامة لالتزام بالممارسات الصحية

لكن من اجل مهمة المنظمة كما هي كل المهام الثورية أساسها الإنسان الذي نسعى إلى خلقة، فالثورة ليست كما يدعي البعض تحدد معايير لأراده الشعب و مبادرة الجماهير هي شكل من أشكال التحرر وما تفعله الثورة هي توجيه الموهبة و مهمتنا الآن هي توجيه الموهبة و وتوظيف القدرات الخلاقة لكل المتخصصين الطبيين إلي مهام الطب الاجتماعي.

نحن في نهاية عهد ليس في كوبا فقط، فلا يهم ما يقال لنقيضنا التوجه نحو الرأسمالية و التي عرفنها والتي تربينا في ظلها والتي عانينا منها.

الآن بدأت تهزم في جميع أنحاء العالم وبدأت الاحتكارات تنهار وبدء العالم وشعوبه يحرز انتصارات يومية جديدة و مهمة في بلدان أمريكا اللاتينية و لدينا الفخر بأننا طليعة حركه تحرير بدأت منذ وقت طويل مضي فى القارات المستعبدة الاخري مثل أفريقيا و أسيا الأمر الذي يتطلب تغيير اجتماعي عميق و بالمثل أيضا يتطلب ذلك تغييرات عميقة في مفاهيم الشعوب و ثقافتها.

العمل الفردي للجماهير في مشروعنا النضالي يجب ان يختفي في كوبا وعلينا فى المستقبل أن يكون العمل الفردي موظفا لصالح المنفعة المطلقة للشعب, ليس كافيا ان يكون كلامي مفهوم اليوم حيث كلكم تفهمون ما أقوله و مستعدون ان تفكروا قليلا عن الحاضر و الماضي بل أيضا يجب أن يكون في

المستقبل لكي نستطيع تغير طريقه التفكير حيث من الضروري ان نتخطى تغيرات داخليه عميقة و أن نراقب التغيرات الخارجية العميقة خصوصا في أداء واجباتنا و التزاماتنا تجاه المجتمع.

تلك التغيرات تحدث في كوبا كل يوم. و تلك التغيرات هي أيضا طريقا لمعرفة خطى الثورة ويجب أن نكون علي دراية بالطاقات المخزونة فى البلاد، و أن زرت كوبا و رأيت التعاونيات و مراكز العمل التي يجري حاليا إنشاؤها فستكتشف الإمراض التي أصيب بها الناس فى تلك المناطق و وسترى معاناتهم و ماسيهم المزمنة منذ أعوام وسترى ارث البلاد من الاضطهاد و المهانة ولذا فعلى الطبيب أن يذهب إلي قلب عمله الجديد و هو يشعر بالإنسان فى كوبا .

دائما الطبيب لا يهتم بما يحدث في العالم فالطبيب يكون قريب للغاية من مريضه و يعلم أدق التفاصيل مرضه لأنه الفرد الذي يحارب الألم و يقلل منه فهو يؤدي عمل لا يقدر بثمن للمجتمع

منذ شهور قليله مضت هنا في هافانا حدث أن مجموعه من الأطباء حديثي التخرج لا يرغبون في الذهاب إلي المناطق الريفية و طالبو بمكافآت قبل أن يوافقون علي الذهاب إلى هناك فان وجهه نظرتك كانت في الماضي شيئا منطقيا في العالم وبالنسبة لي أيضا لذا فعندما استرجع هذا الحدث فأتذكر ما كنت علية وما كنت أفكر فيه منذ سنوات مضت فانني كنت مثل المحارب الذي تمرد ضد الأوضاع التي تحيطه لأجل مستقبل و ظروف أفضل و يحقق حاجه الناس التي يعولهم

ماذا كان سيحدث لو إن عائلات الأولاد الذين هم بشكل عام قادرين علي دفع مصاريف أبنائهم التعليمية إذا ساعدوا آخرون اقل حظ ليكملوا تعليمهم وليبدءوا ممارسه مهماتهم و اختصاصاتهم؟

ماذا سيحدث لو ان اثنين أو ثلاثة مائة الفلاحين قد ظهروا، فى قاعات الجامعة؟

ماذا سيحدث ؟ببساطه أن الفلاحين سوف يهربون أو يفرون توا و بحماس شديد ليساعدون إخوانهم. ستتاح لهم طلب أصعب وظائف وأكثرها مسئولية من اجل إثبات إن سنوات الدراسة التي تلقوها لم تكن عبثا. ماذا كان يمكن أن يحدث في ست أو سبع سنوات ، عندما طلب العمال والفلاحين وأطفالهم أن تتاح لهم أهم فرصة للتعليم و تلقي الدرجات المهنية بجميع أنواعها .

لكن لا يجب علينا أن نعرض المستقبل مع الاعتقاد بالقضاء و القدر و نفصل حينها كل الرجال عن أبناء طبقات العمال و الفلاحين أو المناهضين للثوريين لان هذا تبسيط لان ذلك غير صحيح لأنه لا يوجد شئ أكثر كرامة وشرف للمرء غير

أن العيش في ثوره لا احد منا و لا من الفريق الأول الذي وصل إلي الجرانما the granmaوالذين استقروا في سييرا Maestra ، وتعلموا احترام الفلاحين والعمال الذين يعيشون معهم، وكانت لهم خلفية فلاحيه وعمالية ، كان هناك منهم الذين اضطروا إلى العمل ، وكان منهم من عانى الحرمان في مرحلة الطفولة ؛ ذالك ما يسمى الجوع الحقيقي ، بدأنا حينها نعرف أشياء كثيرة خلال السنتين الطولين التي أمضينها . في سييرا Maestra. وبعد ذلك أصبحت تلك الأشياء واضحة جدا .

نحن من كنا في البداية نعاقب أي احد يمس ملكيه حتي الفلاح الغني أو مالك ارض أحضرنا عشره ألاف راس قطيع" لسيرا مايسترا" يوم ما و قلنا للفلاحين ببساطه" أكلوا" و كان بعض الفلاحين لأول مره منذ سنوات يأكلوا في حياتهم اللحم ألبقري

الاعتبار الذي نكنه لحق الملكية لتلك العشرة آلاف راس ماشيه فقدوا في معركة مسلحه و أدركنا تماما أن حياه إنسان واحد أكثر قيمة مليون مره من كل أملاك اغني رجل علي الأرض و تعلمنا ذلك وخاصة من لم يكن من أصول طبقية فلاحيه أو عمالية و وسوف نقول إننا كنا نتميز بفهم لخصوصية الواقع في تلك اللحظة، و أن بقيه الشعب في كوبا لا يستطيعوا أن يتعلموا ذلك أيضا؟ نعم يستطيعوا أن يتعلموا ذلك بجانب مطالب الثورة اليوم التي تعلموها أصبحت مفهوم جيدا، أنها أكثر أهميه من كافاه جيده هو الفخر الذي يشعر به المرء عند مساعد جاره، وعندما يكون أكثر ايجابية و أكثر بقاء من كل الذهب الذي يستطيع المرء أن يكنزه و هو امتنان الناس و كل طبيب في دائرة نشاطه يستطيع أن يفعل ذلك ويجب أن يراكم ذلك الكنز الذي لا يمكن تقديره وهو امتنان ناسه.

نحن يجب بعد أن نبدأ بمحو مفاهيمنا القديمة و نبدأ أن نجذب الناس اقرب و اقرب ليكونوا أكثر وعيا يجب أن نقترب أليهم، ليس كقبل، سوف تقولون جميعا لا, إني أحب الناس و أحب أن أتحدث عن العمال و الفلاحين و اذهب هنا و هناك في أيام الآحاد لأري كذا و كذا كل فرد قام بذلك لكننا نفعل ذلك كأننا نقوم بعمل خيري و ما يجب علينا أن نقوم به هذه الأيام هو التضامن يجب آلا نذهب إلي الناس و نقول لهم ها نحن أتينا لنتفضل عليكم أو لنقوم بعمل خير بتواجدنا لكي نعلمكم علومنا لنريكم أخطائكم نقص ثقافتكم جهلكم للأشياء الاساسيه يجب أن نذهب بدلا من ذلك بفكر متسائل و روح متواضعة لنتعلم من مصدر الحكمة الرائع و ه الشعب

أخيرا نحن ندرك في كثير من الأوقات كيف كنا مخطئين فيما نعتقد وكنا نعتبرها شي مألوف ألان هذه الأفكار أصبحت جزء ذاتي من تفكيرنا غالبا ما نحتاج أن نغير أفكارنا ليس فقط الأفكار العامة الاجتماعية و الفلسفية لكن أيضا

بعض الأوقات أفكارنا الطبية

يجب أن نري أن الأمراض لا تحتاج دائما أن تعالج كما هي في مستشفيات المدن الكبرى يجب أن نري إن الطبيب عليه أن يكون مزارع أيضا و أن يزرع مأكولات و أغذيه جديدة و أن يبذر البذور لينتج أطعمه جديدة لينوع من التركيبة الغذائية الكوبية و التي هي الان محدودة و فقيرة جدا في واحده من البلاد التي تعتبر من اغني البلاد في العالم زراعيا وفى هذه الظروف من المهم أن نتبع منهجا فى التوجه و الشئ الأول الذي يجب أن نقوم به مستقبلا أن لا نذهب إلي الناس و نعطيهم حكمتنا يجب أن نذهب بدلا من ذلك لنوضح أننا أتينا لنتعلم معهم و سوف نقوم بتلك التجربة المشتركة العظيمة و الرائعة لتكوين كوبا الجديدة.

وقمنا بالعديد من الخطوات بالفعل هناك مسافة لا يمكن أن تقاس بالوسائل التقليدية من يوم الأول من يناير في عام 1959 و اليوم غالبيه الشعب فهموا منذ وقت طويل انه ليس فقط ديكتاتور سقط هنا لك نسقط أيضا نظام والآن أتي الجزء الذي يجب أن يتعلمه الشعب انه علي حطام النظام المتعفن يجب أن نبني النظام الجديد الذي سوف يجلب السعادة المطلقة للشعب

أتذكر انه في بعض الوقت في فحسب، الأولي من السنة الماضية الرفيق "Gill" أتى من الأرجنتين كان هو نفس الشاعر العظيم اليوم و علي الرغم من انه كتاباته قد ترجمت للغة أو اثنين فقط لكنة يكتسب قراء جدد كل يوم بكل لغات العالم، كان نفس الشخص الذي هو أمامنا اليوم، كما كان من الصعب علي الرفيق أن يقرا قصائده هنا التي كانت أشعارا شعبيه أشعار الشعب لان ذلك كان خلال الحقبة الأولي حقبه التحيزات و حتى لم يكن هناك احد وقف ليفكر لسنوات و سنوات بتقدير راسخ للقصيدة التي وضعها جيلين وضعت فيها كل موهبته الشعرية الفائقة في خدمه الشعب و في خدمه اهدافة التي يؤمن بها. الناس يرونه ليس كمجد كوبا فحسب، لكن كمندوب للحزب السياسي الذي كان محرما.

الان كل هذا قد نسي لقد تعلمنا انه لا يمكن أن يكون هناك منازعات بسبب وجهات النظر لتركيبات داخليه معينه في بلدنا لو أن لدينا عدو مشترك و هدف مشترك ما علينا الا أن نتفق على انه هناك عدو مشترك و ما إذا كنا نحاول أو لا نحاول أن تصل إلي هدف مشترك.

الآن أصبحنا مقتنعين انه بالتأكيد هناك عدو مشترك لا احد الان ينظر فوق كتفيه ليري هل هناك احد يتنصت علية، أو ممكن أن يسمع بعض العملاء من السفارة الذين سوف ينقلون المعلومات_عن أبداء الرأي حول الاحتكارات، "قبل أن نقول بوضوح عدونا و عدو كل أمريكا الاتنية هي الحكومة المحتكرة حكومة الولايات المتحدة الامريكيه".

إذ أن كل فرد علينريد السعادة أصبح معروفا أيضا أن أي فرد يحارب ضد ذلك العدو لديه شئ مشترك معنا، عندما نأتي إلي الجزء الثاني أين نحن من كوبا اليوم و ما هي أهدافنا؟ماذنريد السعادة نريد السعادة أو لا نريدها للشعب ؟هل نحن نحارب من اجل تحرير اقتصادي كامل لكوبا أم لا ؟

هل نحن نناضل من اجل امة متحررة بدون الانتماء إلي أي كتله عسكرية بدون التشاور مع سفارة أي قوه عظمي عن أي جزء داخلي أو خارجي سوف نقوم به هنا أم لن نقوم بذلك ؟لو خططنا لأعاده توزيع الثورة التي يملكها الناس أولئك الذين يمتلكون الكثير لكي نعطيها للذين لا يملكون شئ لو نوينا أن نقوم بعمل خلاق يوميا مصدرا ديناميكيا لسعادتنا المطلقة بعدها يكون لدينا أهداف نعمل لأجلها و كل فرد لديه نفس الأهداف هو صديقنا و لو أن احد كانت لديه أفكار أخري جانبا أو ينتمي إلي منظمه ما أخري فهذه أمور لا نعتد بها.

في لحظات الخطر العظيم و لحظات الانفعالات العظيمة و الإبداعات العظيمة، و أولئك الذين يعتبرون أعداء عظام، لو أننا متفقين بالفعل لو أننا علمنا الآن أين سنذهب، دعوة يأسف لمن سوف يسببون الحسرة له، بعد ذلك علينا أن نبدأ عملنا

أخبرتكم انه لكي تكون ثوريا يجب أولا أن يكون لديك ثوره نحن بالفعل لدينا تلك الثورة التالي يجب أن تعرفوا الناس الذين سوف ستعملون معهم اعتقد أننا حتى الآن لسنا عالمين بما فيه الكفاية، لذلك يجب علينا أن نسافر لحظه علي الطريق، تسألونني ما هي الوسيلة لمعرفه الناس بجانب وسيله العيش في تعاونيات و العمل معهم ليس بإمكان أي فرد يستطيع عمل ذلك و هناك العديد من الاماكن التي يكون فيها وجود العاملين فى مجال الطب هناك هام جدا و أود أن أقول أن الميليشيات الثورية واحده من أعظم المظاهر في تضامن الشعب الكوبي الميليشيات ألان تعطي وظيفة جديدة للطبيب و تحضره لما سيكون علية، فى فترة قصيرة سيكون ذلك جزء مهما لكوبا لان كوبا معرضة لتكون هدفا لهجوم مسلح كبير ؟

عليا أن ا حذركم أن الطبيب كجندي أو ثوري يجب دائما أن يظل طبيب يجب ألا ترتكبوا نفس الأخطاء التي ارتكبناها في" سييرا مايسترا" ربما لم نخطئ لكن الأطباء الرفاق فى هذا الموقف يعرفون أن ذلك بدا مشين لنا أن نظل إلي جانب الجرحى و المرضي و بحثنا عن أي طريقه ممكنه لنزع سلاح بدلا من جلوسنا بجانب المرضى ذهبنا للجبهة لنبرهن علي ما يمكن أن نقوم به.

الآن الظروف مختلفة و الجيوش الجديدة التي تكونت لتدافع عن البلد، يجب أن تتسلح بتكتيك مختلف، الطبيب سوف يمثل أهميه هائلة في خلال البناء لجيش جديد يجب أن يستمر في كونه طبيب و التي هي من أكثر المهام جمالا و الأهم

أيضا فى الحرب و ليس فقط الطبيب فحسب ولكن الممرضات أيضا و ومسؤلى المعامل الطبية، كل هؤلاء الذين كرسوا أنفسهم لنفس الغرض الإنساني هم حقيقة فى غاية الأهمية.

علي الرغم من إننا نعلم مكامن الخطر و نحضر أنفسنا له و لرد العدوان الذي لا يزال متواجد فى وقعنا اليوم، يجب أن نتوقف و نفكر فى هذا الخطر، إننا اذا قمنا باستعدادات الحرب وجعلنها مركز اهتمامنا لن نتمكن من تكريس أنفسنا للعمل الخلاق، فى كل العمل و كل رأس المال الذي يستثمر لعمل حربي هو عمل مهدر و مال مهدر لسوء الحظ لكننا مجبرون أن نقوم بذلك لان هناك الآخرين الذين يحضرون أنفسهم لهذا و أنا أقول ذلك بكل أمانة علي شرفي كجندي، الحقيقة أن المال الخارج و الذي غالبا يصدمني و أنا أراه يغادر خزانه البنك المركزي أو البنك الوطني هو المال الذي سوف يشتري به بعض الاسلحه.

هذا لا ينفي أن الميليشيات لديها عمل في أوقات السلم المليشيات عليها أن توجد في المراكز المعمورة أن تكون الاداه التي توحد الشعب وتخلق تضامن أضافي يجب أن يمارس، و كما قلت لكم فذالك التضامن الذي تقوم به ميلشيات الأطباء في وقت الخطر يتمثل في سعيهم الدائم ليحلوا مشاكل الناس الفقراء في كوبا وتوفر الميليشيات أيضا فرصه للعيش مع الشعب الذي ارتبط به و خلقت مساواة بواسطة الزى مع كافة الطبقات الاجتماعية في كوبا.

لو أننا من يعملون في المجال الطبي، _و اسمحوا لي أن استخدم مره أخري عنوان نسيته لبعض وقت _وهو إننا سنكون ناجحين لو استخدمنا السلاح الجديد التضامن لو علمنا الأهداف و علمنا العدو و علمنا الطريق الذي علينا أن نسلكه بعد ذلك فان كل هذا يترك لنا معرفة جزء من الطريق الذي سنسلكه كل يوم و ذلك الجزء لا احد يستطيع أن يعلمنا اياة، هذا الجزء هو رحله خاصة لكل فرد ما الذي يمكنه أن يجنيه من تجربته الفردية و ما سوف سيعلمه لنفسه في ممارسه دورة لتحقيق شعب يتمتع بالرفاهية.

ألان لدينا كافة العناصر لمسيرتنا نحو المستقبل، ولنتذكر نصيحة مارتي. ورغم انني أتجاهلها في هذه اللحظة ، وهي واحدة التي ينبغي أن نتبعها دائما ،وهى " أن أفضل طريقة للقول هي العمل" فدعونا نسير نحو مستقبل كوبا.

ترجمة: دينا أبو المعارف " مجموعة يد للبحث والترجمة "

مقالات :

تشي غيفارا: السلوك الأخلاقي في الكفاح السياسي

جانيت هابيل

قيادة الثورة بالحب المطلق الذي تعلمنه من تشي جيفارا

مايكل كوهن

قيادة الثورة بالحب المطلق الذي تعلمنه من تشي جيفارا

مايكل كوهن

كان جيفارا لا يهتم بالانتخابات أو بالتحول في شكل سلطة الدولة لكنه كان يهتم أكثر بكيفية تمويل الثورة كما ذكر فى مذكرات بوليالسوفيتي،بها تشي، ومن الغريب مذكراته تبين انه احد أفراد الوفد الكوبي الذي ذهب إلى موسكو يستجدى بعض الامدادت المادية لكوبا وكذلك اظهر فيلم "ارنستو تشي جيفارا " كم قاسى و عانى جيفارا طول حياته من البيوقراطين الروس لكي يحصل على تمويل منهم للثورة الكوبية.وقد وضح رفض جيفارا اعتماد الثورة الكوبية على الاتحاد السوفيتي و من ثم حاول إيجاد بعض مصادر التمويل الأخرى بعيد عن الاتحاد السوفيتي، ويعد جيفارا واحد من بين أعظم قادة حرب العصابات فى كوبا و الذي قراء جيدا أعمال كارل ماركس وقد هاجم جيفارا البيروقراطية و الحزب المسيطر فى الاتحاد السوفيتي.

وكما اغلب اليساريين الناشئين فى اليسار الجديد بالنسبة للعالم قد كره جيفارا من أول تعامل له مع أعضاء الحزب الشيوعي الكوبي محاولتهم لفرض البيروقراطية على تحركات الثورة الناشئة وذلك على عكس بعض المفاهيم السائدة الان فى أمريكا الاتنية ان الثورة فى كوبا ثورة مستقلة وبعد سنوات بعد نجاح الثورة الكوبية استطاع جيفارا فى تقوية البلد ببذل مجهود مضني لخلق علاقات تؤدى إلى دمج القوى الثورية والحزب وهذا الدمج جلب مشاكل لا تنتهي لتشي وللثورة الكوبية نفسها ويمكن الاستفادة من هذا النهج بتأمل منهج جيفارا وتجربته فى أمريكا ألاتينية. بعد فترة استطاعت كوبا فى الأخذ بمنهج استقلالي وتنمية ذاتية مستقلة عن الاتحاد السوفيتي رغم تدهور عملتها، ومع احتياجها

لشراء بعض الموارد فقرت الحكومة الكوبية بعض عدة مشاورات المضي قدما فى تنفيذ مشروعاتها الزراعية لزيادة محاصيلها الزراعية مثل السكر والذي سوف يتم مقايضتها بالبترول السوفيتي وأخذت تستخدم جزء من محصلاتها الزراعية وتخصص الجزء الاخر للسوق العالمي رغم أن جيفارا وآخرون حذروا من أن كوبا ستفقد بهذا قدراتها تدريجيا على إطعام شعبها وهى المشكلة التي تفاقمت مع انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 وأيضا تجلت أزمات مشابه بالاتحاد السوفيتي وبعض الدول الاشتراكية عندما تسلك طرق صناعية للتنمية وتحاول دفع منتجاتها للمنافسة فى السوق العالمي وكان رأى جيفارا إلا تنتج للسوق العالمية ورفض الاعتراف بالربح كمقياس للإنتاج كان يؤمن جيفارا بان المجتمع الجديد حقا يجب أن يكون طموحا و يحقق طموحه هنا بكوبا وألان وتلك الطموحات هي المستقبل الذي يحلم به الشعب للوصل إلى ثورة اشتراكية حقيقية ويجب أن نرفض النفوذ ومحاولات الشيوعية التقليدية، ازدراء جيفارا كان من المسئولين المر كسين و البيوقراطين الذين لم يهتموا بالآليات الاقتصادية، فالثورة قد أثقلت بأجندة عظيمة أن تدويل جيفارا ورسم هوية للفقراء و المهشمين في كل مكان ورفضه الاعتراف بالحدود القومية فى قتاله ضد الرأسمالية الأمريكية ألهمت حركات التغير الرديكالى الجديدة للظهور فى العالم لقد دعي جيفارا للتغير الجذري " الراديكالي " وهى كما أكد لكي نكون ثورين حقيقيين لابد أن يكون لدينا أنجاز حقيقي نستحق العيش لأجله دعوته هذه بدأت تجسد فى جيل بأكمله ووصلت إلى ذروتها في وجودية سارتر كما امتددت أيضا إلى بعض الحركات الماركسية من خلال تجربته الثورية و مواجهته إشكال الاضطهاد فى كل لحظة، وضع جيفارا و جسد تلك الأفكار الفلسفية لعصره في المد والجزر للموج الثورة، كانت تحركات جيفارا منطلقة من أفكار تغيرت بفعل بعض الضرورات العملية التي فرض تطبيقها لتنمية بلد صغير فى أطار الاشتراكية وبالتحديد فى ظل استمرار هجمات الرأسمالية الأمريكية التي تتضمن الحصار و الغزو و التهديد بالحرب النووية وتدمير التطور الاقتصادي و الايدلوجى ومن ناحية أخرى عزل تلك الأفكار الثورية الجيفارية عن العالم وحبسها فى إطار التجربة الكوبية لكي لا يتم تصديرها لدول أخرى. ووسط تلك الضغوط حاول جيفارا أن يضع مقاييس مختلفة لكوبا وللبشرية عامة وعندما كان وزير للمالية وزع المعونات المالية التي حصلت عليها كوبا من الاتحاد السوفيتي على الفنانين و فقراء الفلاحين و وذلك يعد فى الولايات المتحدة مثلا بالمخاطرة الغبية وفى ذات الوقت كانوا البيوقراطين الروس مثل أصحاب البنوك الرأسمالية غاضبين من جيفارا حيث كانوا يقولون له " خذ ما تحتاج من المال ولا تقلق من استرجعه " وكانوا فى ذات الوقت يضغطون على فيديل لكي يقلل من أهدار جيفارا للأموال في حكم "بريزهانف" التي لم يستفاد منها بشي

وبالتالي اتكئ السوفيت على بولندا لكي تدفع ديون روسيا المتزايدة لدى البنوك الغربية مما أدى إلى انهيار وتوقف الحياة وأدى أيضا إلى إثارة ردود أفعال غاضبة من قبل الطبقة العاملة الروسية، فى عام 1959 تولى قيادة حرب العصابات فيديل كاسترو واكتسح هافانا ليهزم دكتاتورها "فلاجينكو باتيستا "رغم دعم الولايات المتحدة المالي والعسكري له ورغم عملائها الذين كانوا داخل جيش فيديل ك "فرانك فيوريني" الذي كان نقيبا فى جيش فيديل و كان احد عملاء المخابرات الأمريكية هناك وعرف منذ سنين بمخطط غزو خليج الخنازير في كوبا وبعد عامين من خليج الخنازير أصبح واحد من الثلاثة الذين قبض عليهم فى "دالاس" بعد اشهر قليلة من اغتيال الرئيس كيندى ثم أطلق سراحه على الفور (وكان العميل "هاورد هانت" أيضا من بين الذين القي القبض عليهم) وكان واحد من عشرات المحاولات الأمريكية للاغتيال كاسترو وفى عام 1973 أصبح فيوريني مشهورا للغاية كأحد الذين حاولوا الاستيلاء على المقر الرئيسي للحزب الديموقراطي الامريكى فى الفندق الذي يعرف "بوترجيت" تحت اسم فرانك سترايكوس وساهمت حادثة "وترجيت" فى إثارة التساؤل حول خليج الخنازير و الولايات المتحدة والعمليات التي أجرتها فى كوبا وكشفت فجاءه وبطريقة غير متوقعة عن أسرار البيت الأبيض ومنذ تلك اللحظة وتبين علم نيكسون بذلك وفجر ذلك تحقيق عن كشف أسرار العمليات غير السرية التي قامت بها المخابرات الأمريكية في كوبا وأيضا عملية قتل "جون كيندي "ومحاولات قتل كاسترو ووضحت منهج الاستمرار فى تهديد الولايات المتحدة بالحرب وأجراء العمليات الاستخبارتية ضد الثورة الكوبية والتي كانت تسير بتوجيهات جيفارا التي وضعت الخطوط العريضة لنوع جديد من الاشتراكية على النقيض من تجارب أخرى لبعض البلدان الاشتراكية التي خافت من غزو الفكر الجيفارى لها لآتها تريد جذب بغض الاستثمارات الرأسمالية لها لذلك يجب عليها الدخول فى عملية التنافس فى السوق العالمية وكان تشي كرئيس للبنك الوطني الكوبي معارضا لهذا التنافس والدخول فى علاقات الرأسمالية العالمية والكيانات الاحتكارية، وكما أصبحت العملة الكوبية مشهورة بسبب توقيع جيفارا عليها أول سؤال سأله جيفارا لمساعديه عندما تولى رئاسة البنك الوطني الكوبي أين تحتفظ كوبا بمخزونها من الذهب و الدولارات ؟ فاخبره فى "فورت نوس" بالولايات المتحدة الأمريكية فبدا على الفور بتحويل غطاء الذهب الكوبي إلى عملات أخرى غير الأمريكية والتي نقلت إلى بنوك كندية وسويسرية ولم يهتم تشي كثيرا بتنمية الأجهزة المصرفية فى كوبا لكن اهتم بشيئين أولا محاربة الرأسمالية الأمريكية باسترجاع ذهب الثورة الكوبية من قبضة حكومة الولايات المتحدة إما الأمر الثاني فكان بحث سبل إيجاد وسائل لتمويل خلق الإنسان الاشتراكي الجديد دون الاعتماد على آليات الرأسمالية قد شكلت مجمل أفكار جيفارا منهجا ليسار

جديد.

حب جيفارا للناس جعله يذهب إلى الكونغو ثم إلى بوليفيا حيث كون هناك جيش عصابى وأمل إن يكون نواة للثورة هناك ومرة أخرى اضطرا لمحاربة بعض القيادات الماركسية، لقد تنازع مع رئيس الحزب الشيوعي البوليفي من اجل قيادة الجيش و السؤال المهم هنا من الذي يجب أن يرسم سياسات حرب العصابات جيفارا أم رؤساء الحزب الشيوعي في بوليفيا، الجيش ربما صوت لصالح جيفارا فى الانتخابات الوحيدة التي اضطر لخوضها لم يسمح لاى شخص أن يصوت ولا حتى الذين يعيشون فى تلك المنطقة لكن التصويت كان للذين شاركوا بالفعل فى هذا الصراع وبفوز جيفارا فى تلك الانتخابات التي ليست فقط عن الفردية لكن إعلان عن استراتجيه مختلفة تماما للثورة ولذا تخلى الحزب الشيوعي تماما عن حرب العصابات. وإذا اعتبارنا ألان أن قرارات جيفارا تلك صحيحة إذا لم يكون الحزب الشيوعي في بوليفيا غير مسئول ودكتاتوري فسيظل السؤال قائما وهو من الذي ستاؤل له مسئولية قيادة الجيش ؟ ومن الذي كان سيضع اطر العمل ؟ وتلك الأسئلة ليس من السهل الإجابة حلها ففي فيتنام مثلا حدث العكس تماما فجيش جيفارا و جيش التحرير القومي كانوا يأخذون سياستهم من مكتب عليها فقطاسي وليس العكس.وهذا ليس ما حدث فى بوليفيا فان علاقة المنظمة بحركة البور الثورية هي دائما المشكلة التي تواجه حركات التغير فى مرحلة معينة اى من سيكون حلقة الوصل اى المسئول ؟ فمن ناحية أن إلا مركزية جذابة وتتيح استقلالية المجموعات صغيرة والحريات الفردية والإبداع الفردي ومن ناحية أخرى فان الحركة الكبيرة ليس عليها فقط أن تنسق نشاطات الفرق المحلية وان تضع لإعمالها أطار من الفرق الصغيرة التي هي جزء من الحركة ومجموعة كبيرة من الاستراتجيات وهذا في الواقع سيحد من استقلاليتهم.

في بوليفيا فشل رجال حرب العصابات لتكون جزءا من العديد من محاور الجماهيرية مما أدى إلى زوالهم. وفي الواقع كان تشي في أيامه الأخيرة يشعر بالإحباط لعدم وجود تحركات للطبقة العاملة في المناجم، كما كان يأمل. (حيث أن شعبية الحزب الشيوعي كانت قوية بين عمال المناجم في بوليفيا.) تلك التحركات التي كانت من شأنه تزيد من تأثير رجال حرب العصابات. وفي نهاية المطاف، لم يستطيع عمال المناجم إرغام الحزب الشيوعي على التحرك فقاموا بالإضراب كمساندة للبؤر الثورية، لكن هذا التحرك من قبل عمال المناجم كان ضعيف واتى متأخر. فقلت حينها حماسة رجال العصابات وبدءوا ينفضون من حول تشي ورغم ذلك كان يعتقد تشي أن 100 رجل ممكن أن يحدثون فرقا رغم قلة هذا العدد.

هذه هي الاسئله الخطيره والمعقدة التي تنطبق على أعمال الحركات الاجتماعية اليوم.

حل مثل هذه المسائل لن تحل عشوائيا ولكن يمكن أن تساعد لتحولها في المرحلة نفسها و في آن واحد للتطوير الثقافة الثورية في حد ذاتها وليس على أنها مجرد وظيفة أو واجب ليس من السهل تحقيقه.

العالم أو على الأقل عالمنا يعتمد على ما إذا كنا قادرين على حل (أو على الأقل التعايش مع) المتناقضات التي توجهنا.

في بوليفيا في صيف 1967، تناقص عدد المحاربين من رجال حرب العصابات واحدا تلو الآخر. دون إمدادات إضافية.

فاضطر تشي وآخرون ساعتها إلى التعامل مع الواقع في تلك اللحظة، ولقد فشلت استراتيجيتهم للقيام بثوره.

أرسلت الحكومة الأمريكية في فترة حكم الديموقراطي، "ليندون جونسون" و مستشاريه العسكريين الأسلحة إلى بوليفيا وأصبح الأمر مجرد مسألة وقت أو أشهر قليلة، قبل أن يهزم جيش جيفارا.

الصورة الحقيقية لتشي هي ليست الصورة الدعائية التي روجت، ولكن صورته هي لرجل كرس حياته من اجل فقراء العالم، وبدء النضال مع بورة صغيرة من رجال حرب العصابات لإشعال ثورة من الفلاحين والعمال من اجل خلق حياة أفضل لأنفسهم، رغم كثرة الاحباطات التي واجهاته، حيث لم يتبق إلا بعض النجاحات الصغيرة بصرف النظر عن الانتصار الهائل للثورة الكوبية نفسها.

أن الفلاحين البوليفيين الذين لا يزالون على قيد الحياة والذين يعيشون في المناطق التي عمل فيها تشي ورجاله والتي اثرت بشكل واضح على التاريخ. في فيلم "ارنستو تشي غيفارا : يوميات بوليفيا ،" كان صانعوا الأفلام وجدوا أن العديد منهم ما زالوا على قيد الحياة ، ويقابلهم . أن تجاربهم التاريخية تجعلهم يعيشون في وحدة. بعض منهم يتذكر تعاطفه معهم. أحدى نساء الفلاحين وهى قتاة مراهقة و ليس لها اى اتجاهات سياسية في عام 1967 كانت تخاطر بحياتها لتجلب الطعام لجيفارا واعتنت به في الساعات الأخيرة. والآن بعد حوالي 50 عاما قالت أنها تتذكر تعاطف جيفارا مع قضية بلدها وكيف أن لهذا تأثير عميق على حياتها. ، ومن الواضح أن تشي كان بمثابة المسيح بالنسبة لهم ، حتى لأولئك الذين خانوه.

وكما قال جيفارا في عبارته الشهيرة: "في المخاطرة التي تبدوا سخيفة واسمحوا لي أن أقول أن الثوري الحقيقي يهتدي بمشاعر الحب الكبير".

ولنعود إلى الوراء إلى خريف 1967، بدء ت شكوك جيفارا تتزايد.

بدأ السؤال حول استراتيجيه فوكو"1" "foco" في بوليفيا، والتي عملت في كوبا على نحو فعال جدا برجال العصابات لكنها فشلت مع الفلاحين الذين

ارادو الانضمام إلى الثورة، بخلاف توقعات رجال حرب العصابات. وكان لهذا تأثير هائل على الروح المعنوية للمحاربين، وكذلك على حالة تشي الذهنية.

وقد تم اسر جيفارا وتعذبه وقتله في بوليفيا تحت إشراف وكالة المخابرات المركزية في 9 تشرين الأول، 1967.وبعد مرور ستة وثلاثون عاما. لا يزال جيفارا حيا في الذاكرة البشرية والذين الهموا البسطاء ليروا العالم بوجهة نظرهم الخاصة. ، وحتى مواجهة التعنت والبيروقراطية وقوة الهائلة لامبرياليه الأمريكية رغم كل العقبات .

ان هذه الرؤية تبدو غير عادية اليوم، ان يطبقها في الولايات المتحدة هذا غير معقول اليوم.. نحن فقط لا نرى له، أو تقرير. و ما الذى سيجعلنا بشرا في حقبة من الآليين. وهذا ما مكن الثورة البوليفية الجديدة فعلا من كسب سلطة الدولة، ونفوذ الكثيرين داخل حكومة الأمريكية. وذلك أيضا جز من ميراث (التركة) الذي تركه لنا جيفارا .

ملحوظة :(The foco theory) فوكو هي نظرية تشمل بعض القواعد إلى تحدد منهج الثورة ة وقد استنباطها جيفارا من أساليب الثورة الكوبية و حرب العصابات .

كتب هذا المقال في العام 1997 في الذكرى الثلاثين لاغتيال تشي

تشي غيفارا: السلوك الأخلاقي في الكفاح السياسي

جانيت هابيل

1967-1997: كان عمره سيبلغ 69 سنة، في ظل نظام عالمي لم يكن أبدا يتصوره، في قارة عاشت فيها الليبرالية الجديدة فسادا، وفي جزيرة خاضعة لمتطلبات تغلغل الدولار.

كيف سنتفحص أو نعيد تفحص فكر تشي؟ لقد أضفى عالم الفوضى والبلبلة طابع الغموض على صورته التي تتأجج بين اللا منطق والسخرية. فهو أما أسطورة فارغة، أو طوباوي مستبد وانتحاري. وهو محارب بطل في حرب الغوار لكنه عسكري خاسر بالنسبة للبعض، ومنظم دون المستوى للبعض الآخر. وبالنسبة لآخرين فهو، علاوة على ذلك، متزمت مازوشي ومتعصب، متسلط ومتعسف، والذي كان عناده السياسي وسلوكه اللا مسؤول سيقودان -في غياب عبقرية فيديل كاسترو العملية- إلى إخفاق الثورة الكوبية على غرار الكونغو وبوليفيا.

ونحن في نهاية هذا القرن، كيف نستعيد مغزى كفاح خيض في عقد الستينات الثوري؟ وإن كنا نعرف اليوم آخر أيام تشي بشكل أفضل، فإن كتاباته -وهي عديدة- محفوظة في كوبا وتبقى دائما مجهولة. ثم إن مسيرته الإيديولوجية مازالت تتطلب الكشف عنها.

إن قصر حياة تشي غيفارا السياسية (ثلاث عشر سنة موزعة بين انتصار المخابرات الأمريكية CIA على Arbenz بكواتيمالا وموته في بوليفيا، ثماني سنوات في كوبا ستة منها بعد انتصار الثورة)، والتسارع العنيف لأحداث التاريخ الذي كان يشكل جزءا لا يتجزأ منه، تجعلان من الصعوبة بمكان تفسير بعضا من كتاباته. فقد كان فكره في تطور دائم.

وبالرغم من أنه لم يعتبر نفسه منظرا، ولم ينتم إلى حزب سياسي قبل التزامه في كوبا، فإن الشهادات كلها تتطابق حول دوره، سواء في سييرا مايسترا أو إبان الاستيلاء على السلطة، كمحفز رئيسي للمسار الراديكالي الذي سارت عليه الثورة. لكن وعيه السياسي سيتطور بشكل عميق في بعض السنوات. فلا تكاد تمر ست سنوات بين تناوله لتجربة بلدان "الستار الحديدي" بشكل إيجابي وهو في سييرا مايسترا (وذلك في رسالة إلى رونيه راموس لاتور المسؤول عن حركة 26 يوليو، وهي رسالة سيصفها لاحقا بـ"البليدة") وبين نقده الصارم للإتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية في سنوات **1964-1965**.

في أكتوبر **1960**، ذهب في زيارة إلى موسكو بعد أن تعرضت الجزيرة للخنق من جراء الحصار الذي نظمته أمريكا على البضائع ابتداء من 13 أكتوبر.

وقد حصل من الكتلة السوفيتية على قروض، وعلى التزام بشراء جزء كبير من السكر الكوبي مقابل البترول (أما ما تبقى فستشتريه الصين). وخلال الاحتفال بذكرى الثورة الروسية التي حضرها، صفق الجمهور وهتف له. وإن كان متأكدا من أن هجوما أمريكيا قد أوشك (اجتياح "خليج الخنازير" سيحدث بعد مرور أربعة أشهر)، فإنه عاد وهو مقتنع بأن "الإتحاد السوفيتي وكل البلدان الاشتراكية مستعدة للدخول في حرب لحماية سيادتنا"(1). وفي أكتوبر 1962 ستنفجر أزمة الصواريخ وتبدد كل أوهامه بشكل جارح. فسيختبر رجل حرب الغوار، بعد أن أصبح وزيرا، التسيير السوفيتي للعمليات التجارية، وكذا دبلوماسية موسكو القوية خلال أزمة الصواريخ. وهكذا سيكتشف مرارة واقع الاشتراكية السلطوية والبيروقراطية، والامتيازات التي يحصل عليها الماسكون بزمام الحكم. وخلال المؤتمرات التداولية لوزارة الصناعة سيشهر بـ"الاشتراكية القائمة فعلا"، وهو نعت لم يكن موجودا بعد.

إن تفكيره هذا، سيزيد من توطيد نزعته الإنسانية التي اكتسبها خلال رحلته في أمريكا اللاتينية. فهو أرجنتيني يعرف الأساليب الزبونية والشعبوية للبيرونية. ولاحقا سيكتشف الامتيازات التي يحوز عليها "مدراء" ومسؤولو الحزب. إن نموذج"الإنسانية الجديدة" الذي يريد أن ينهض به والذي يتم تشويهه لجعله استبداديا، والسلوك النموذجي الذي يفرضه على نفسه كقائد، والعمل التطوعي الذي يبحث عليه، كلها مزايا تتناقض مع الأساليب الستالينية، وهو يستوحيها من تصور أخلاقي للسلطة والذي يبدو أيضا ضروريا من الناحية السياسية. فعندما أعلن لعمال السكر في 1961 بأن نقص الحاجيات سيزداد حدة (اللحم والحليب أصبحا منذئذ مقننين)، أخذ على عاتقه تعهدا أثار حماس المشاركين: "في هذه المرحلة الجديد من النضال الثوري، لن ينال واحد منا أكثر من الآخرين، ولن يكون هناك موظفون محظوظون ولا فلاحون كبار. لن يكون محظوظا في كوبا سوى الأطفال".

ففي حين يعاني السكان من الحرمان، كان الاجتياح الأمريكي يتطلب تعبئة شعبية هائلة، وهو ما كان مستحيلا دون الانخراط في مشروع ثوري. وهذا الانخراط هو الذي يفسر الانتصار الذي أحرز في بلايا جيرون، والذي يعد أول هزيمة تتكبدها الإمبريالية في أمريكا اللاتينية.

كان تشي بعيدا عن رذائل الفساد والمحسوبية التي كانت تميز زعماء أمريكا اللاتينية، فارضا صورته كقائد زاهد، صارم مع نفسه كما مع الآخرين. والنوادر لا تحصى في هذا الباب: كان يلغي الإضافات التي تستفيد منها عائلته بخصوص القوت، وكان المرض هو ما يبرر به جهارا سكنه المؤقت على شاطئ البحر والذي لا يسمح به أجره. لقد أدرك سريعا ضرورة النضال ضد الامتيازات، حيث

يعتبر أنه على المشروع الثوري أن يخلق قائدا خاليا من كل رذائل الفساد والارتشاء، قائد تطابق أقواله أفعاله. ومن هنا تزهده الشخصي الذي كان بمثابة أسطورة.

سيخوض تشي نضالا مستمرا ضد تبقرط الإدارة الجديدة وهو يحاول أن يفرض نمطا جديدا من ممارسة السلطة. لن يفلح في ذلك، وسيكثر أعداء هذا "الأرجنتيني" كما ينعته بعد الموظفين مستهترين به.

كان تصلبه يفسر أحيانا بالتحليل النفسي، لكن ذلك كان ينم عن جهل ضرورة تجسيد السلطة الجديدة في كوبا لقطيعة جذرية مع فساد النظام السابق. فالطبع يغلب التطبع، الأمر الذي يشهد عليه ما قام به بعض من رجال حرب الغوار في حركة 26 يوليو، بعد الانتصار الإستراتيجي من استيلاء على السيارات الفخمة لرجال بوليس الديكتاتورية ليلتحقوا بمدينة هافانا، وقد عاقبهم تشي على الفور. وهذه العقوبات الصارمة توصف اليوم بأنها مرتبطة بستالينية خاصة، وهي غولاغ المناطق المدارية. هكذا تم خلط كل شيء: فالانضباط المفروض في حركة حرب الغوار تكافح ضد ديكتاتورية مدعومة من طرف واشنطن، وإعدام جلادي باتيستا في ثكنة كابانا بعد الاستيلاء على السلطة، كلها مقدمات تدل على المنحى القمعي الذي يسير فيه النظام. وفي هذا كله يتم نسيان تشي وهو يعالج السجناء ويطلق سراحهم بعد ذلك، وكذا سخائه الزهيد لكن الشاسع.

مجهود فكري غير مكتمل

إن إعادة قراءة كل من النصوص الأخيرة لتشي خلال النقاش الاقتصادي الكبير الذي أشهر فيه خلافه مع المدافعين عن الإصلاحات الاقتصادية السوفيتية لسنوات الستينات –وهي نسخة أولى للبريسترويكا-، ومقالته حول "الاشتراكية والإنسان في كوبا"، وكذا خطاباته الأخيرة خصوصا ذلك الذي ألقاه في الجزائر في 1965، توضح بشكل جلي رؤيته النقدية والمحذرة من مشاكل المجتمع الانتقالي في الإتحاد السوفيتي. فقد كتب في كتاب بدأه قبيل وفاته وبقي غير مكتمل ما يلي: " إن الإنسانية تنتظرها هزات عديدة قبل أن تحصل على تحررها النهائي، لكننا مقتنعون بأنه يتعذر بلوغ هذا التحرر دون تغيير جذري في إستراتيجية القوى الاشتراكية الرئيسية. وسيبين لنا التاريخ ما إذا كان هذا التغيير سيأتي نتيجة ضغط الإمبريالية الحتمي أو عبر تطور جماهير هذه البلدان وأما بتضافر عوامل عديدة. أما من جهتنا، فنحن نساهم بجهد متواضع مع خوفنا من أن يتجاوز المسعى قوانا الذاتية"(2).

فقد أدرك سريعا ما قد يعترض كوبا من صعوبات بفعل تبعيتها إزاء "الأخ الأكبر" السوفيتي. كما أدرك، منذ الاستيلاء على السلطة، ضرورة إحداث قطيعة مع الطابع الأحادي لزراعة السكر لتقليص تبعية البلد والسعي إلى ضمان تطور اقتصادي مستقل أكثر. وكان التشديد على التصنيع يستجيب لانشغاله الكبير هذا. لكن سرعان ما ظهرت نتائج شريعة السوق العالمية: فانخفاض إنتاج قصب السكر –المنتوج الأساسي في التصدير- لم يعد يسمح بضمان الواردات الضرورية للتطوير الاقتصادي بالنسبة لبلد محروم من موارد الطاقة، والذي ترتكز عائداته أساسا على هذه الزراعة الأحادية التي فرضها الاستعمار في القرن 19. فكان لا بد من تصحيح الوضع، وهو ما تعنيه تشي لما قال لادواردو كالينو: "لقد ارتكبنا حماقة لما أردنا تسريع التصنيع. كنا نريد تعويض كل الواردات وتصنيع منتجات كاملة، دون أن نرى تلك المضاعفات الهائلة التي يفرضها استيراد السلع الوسطى"(3).

فالتجارة مع الإتحاد السوفيتي، خصوصا التزويد بالبترول بعد القطيعة التامة مع الولايات المتحدة، قد تضمن استقرار المبادلات وعدالة تجارية حقيقية بين بلد صغير تابع اقتصاديا وبلد يدعي الاشتراكية ويملك السلاح النووي وهو الآن ينطلق إلى غزو الفضاء.

لم يحتج تشي لكثير من الوقت –عكس القادة الكوبيين الآخرين- لإدراك

هشاشة هذه العلاقات ومخاطرها.

الإنتقال والتخلف

وسرعان ما بدأت شكوكه تدور حول السياسة الداخلية. فقد كانت الإصلاحات الاقتصادية المتعلقة بالسوق التي اقترحها وشرع فيها الاقتصاديون السوفيت (خصوصا ليبرمان وترابزنيكوف) محط نقاشات عديدة، في وقت كانت تعترض فيه الجزيرة ضرورة إعادة تحديد إستراتيجية للنمو.

كان النقاش الذي خيض خلال الفترة الفاصلة بين 1963 و1965، داخل وزارة الصناعة ثم داخل القيادة الكوبية، يدور حول بناء الاشتراكية، وبالضبط حول شروط الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية في جزيرة خاضعة لقيود زراعة السكر الأحادية وللضغوطات المباشرة للسوق العالمية، وعلاوة على ذلك يؤدي الحصار المفروض من طرف أكبر قوة اقتصادية عالمية إلى عرقلة تطورها.

كان الجدال يتعلق بدور قانون القيمة خلال مرحل الانتقال، ودرجة مركزة المؤسسات، ثم دور الحوافز المادية والمعنوية. فأولئك الذين ينوهون بأهمية قانون القيمة، يخصصون مكانة كبرى لآليات السوق في الاقتصاد المخطط وأيضا، لضرورة منح استقلال مالي للمؤسسات مع إصرارهم على دور الحوافز المادية للزيادة في إنتاجية العمل. أما تشي وأنصاره، فكانوا يشددون أولا، على ضرورة تسيير مركزي نظرا لتفاوت التطور الكوبي: فهناك شبكة متطورة للاتصالات والنقل ولكن، بالمقابل، هناك نقص جسيم في الأطر، وهناك ضرورة لفرض مراقبة صرامة على المواد، نظرا للحصار والمستوى الضعيف للتطور ثم خصوصا، لقلة العملات الصعبة. فقد كان يعتقد بأن الاستقلال المالي للمؤسسات، من شأنه أن يشكك في الأولويات التي تم إقرارها على المستوى القومي وذلك لصالح الاختيارات القطاعية، كما من شأنه أن يزيد من استقلال المدراء فيما يخص الاستثمارات والأجور، وأن يؤدي إلى تطور متفاوت وغير متوازن. وكان يخشى نتائج نظام عمل مبني حصرا على الحوافز المالية، وكذا التمايزات الاجتماعية التي ستنتج عنها حتما ، الأمر الذي جعله يكتب: "ها نحن نعود إلى نظرية السوق... فتنظيم السوق كله مبني على الحافز المادي... والمدراء هم الذين يستفيدون كل مرة أكثر. علينا أن نرى آخر مشروع وضع في الجمهورية الألمانية الديمقراطية، لنجد الأهمية التي أعطيت فيه لتسيير المدير أو بالأحرى لمكافأة المدير على تسييره"(4). هذا التنبؤ، سنرى نتائجه بعد خمسة وعشرون سنة خلال انتفاضة الجماهير الشعبية في ألمانيا الشرقية التي لم تعد تحتمل

الركود الاقتصادي وغياب الحريات السياسية وامتيازات القادة الفاسدين.

كانت كل من الحساسية الحادة اتجاه البيروقراطية والاعتبارات السياسية والاجتماعية تدفعان تشي إلى معارضة الأولوية الممنوحة للعلاقات المالية-التجارية في بناء الاشتراكية، لكن دون أن يعني ذلك أبدا أن لديه وهم إلغائها دفعة واحدة. فبعيدا عن التشويهات التي لحقت مواقفه، كان يصر على ضرورة الحوافز المعنوية التي يعتبرها بمثابة حوافز جماعية إلى العمل. هذا التصور كان يتماشى مع سياسة أجور مرتبطة بشكل وثيق بتطوير المؤهلات، حيث أن "الاختيار الصحيح لأداة تعبئة الجماهير" هو الذي يهم أكثر، وبدونه لن تنجح الاشتراكية. فمساواة الحقوق وتشريك الاقتصاد –الذي ربما كان مبالغا فيه- كانا حماسيا بالنسبة للمقاومة الشعبية التي رأت بأن عالما آخر ينبني في وجه العدوان الأمريكي وأنه يستحق القتال. لكن تشي كان يعترف أنه ليس معصوما، ويؤكد على أنه إذا ما تبين أن تصوراته "ستشكل عائقا خطيرا على تطور القوى المنتجة، فيجب استخلاص الدروس منها وسلك طريق آخر معروفة"(5).

إن تطوير الوعي الثوري والتعليم من شأنهما أن يساهما في اكتساب موقف ثوري إزاء العمل (لهذا كان يعطي المثال، ليس لأنه مازوشي بل لأن الضرورة تفرض ذلك). كما أن "تكوين الإنسان الجديد وتطوير التقنية" من شأنهما أن يتيحا الانتقال نحو الاشتراكية. كانت العلاقة بين الاشتراكية والإنسان في قلب اهتماماته، حيث يعتبر الإنسان عاملا أساسيا في الثورة و"فاعلا في عملية بناء الاشتراكية". وبالنسبة إليه، يوجد التعليم والوعي في قلب هذا المجتمع العادل" "في هذه المرحلة في بناء الاشتراكية، يمكن لنا أن نشاهد ولادة الإنسان الجديد. إن صورته لم تحدد بعد، لا يمكن أبدا أن تحدد نظرا لأن تطوره يسير بالتوازي مع تطور البنيات الاقتصادية الجديدة... إن الإنسان الذي يجب أن نخلقه هو إنسان القرن 21، رغم أنه مازال مجرد طموح ذاتي وغير منتظم"(6).

هكذا، وبعيدا عن التشويهات الستالينية، كانت مقدمات تشي مفعمة بروح إنسانية وثورية. لكن الصحيح أيضا أنه كان يشدد على نقد الاقتصاد وعلى الوزن الذي تكتسيه علاقات السوق، ولا يشدد بما فيه الكفاية على الطابع البوليسي والقمعي للنظام السياسي السوفيتي. ومما لاشك فيه، أن هذا ما يشكل إحدى الثغرات الأساسية في تفكيره. وقد أشار أحد كتاب سيرته روبيرتو ماساري (7) وأيضا كارول إلى نقط الضعف في تفكير تشي والتي تتجلى، إلى حدود سنة 1963 تقريبا، من خلال عدد من خطاباته وكتاباته. وكان هذا الضعف يتماشى مع سذاجة ما، بارزة في الأحكام التي كان يصدرها على أطر PSP القديم.

وفي غضون سنة 1966، سيعمق تفكيره النظري وهو يعلق على "كتاب الاقتصاد السياسي للإتحاد السوفيتي": "إن الجريمة التاريخية الفظيعة التي

ارتكبها ستالين" تتمثل في "استهتاره بالتكوين الشيوعي وإرساء عبادة السلطة بشكل لا محدود"(8).

ضد النزعة العقائدية

"انتفاضة ضد الأوليغارشيا وضد النزعات العقائدية الثورية". هذا ما كتبه في يومياته في بوليفيا وهو يحتفل بذكرى 26 يوليو. كان ينتقد بصرامة "النزعة المدرسية التي كبحت تطور الفلسفة الماركسية، وحالت بصورة ممنهجة دون دراسة هذه الحقبة التي لم تحلل أسسها الاقتصادية" (نص الاشتراكية والإنسان).

كان تصوره للطليعة، والتي يقودها قادة نموذجيون، يدل على تفكير نقدي، لكنه غير مكتمل، حول دور ومكانة الحزب في علاقاته مع المنظمات الجماهيرية. كان يسخر وهو يقول: "لقد سبق للحزب أن قرر ذلك، وما عليك إلا أن تتحمله"(9) ويؤكد: "يجب علينا ألا نخلق مأجورين خاضعين للفكر الرسمي ولا "بورصويين" يعيشون تحت حماية ميزانية الدولة وهم يمارسون حرية مشكوكا فيها".

لكنه لم يكن يحلل مساوئ الحزب الوحيد/حزب الدولة: فتجربته لست سنوات في قيادة الدولة الكوبية كانت جد قصيرة. فقد وسمته الحرب والنزاع الجسيم مع واشنطن، وكذا خصوصيات التجربة الكوبية. وفي سييرا مايسترا، عارض الجناح المدني لحركة 26 يوليو المتماثل مع جناح يميني، واتضح أن وجود ثلاث تيارات مختلفة (M-26-7, PSP, Directoire) إلى حدود 1965، كان عائقا أمام وحدة الثورة. ولم يتشكل الحزب الواحد إلا في سنة 1975 لفرط ما كان الاندماج صعبا. ففي أجواء الحرب لسنوات الثورة الأولى، كانت المقاومة هي كل ما يهم، أما التعددية فقد أرجئت إلى ما بعد.

لم يمنعه هذا من تطبيق تصور سياسي يختلف بصورة عميقة عن ذلك الذي أرساه النظام الجديد. فالشفافية سادت خلال الاجتماع الوطني للإنتاج سنة 1961، وتم الإفصاح جهارا عن أخطاء المسؤولين عنها. فقد صرح أمام 3500 إطارا في الحكومة: "ها أنتم تستقبلونني بتصفيقات حارة، لكنني لا أدري هل كمستهلكين أم كمتواطئين، وأظن أنه بالأحرى كمتواطئين".

كان الوحيد -وكم من انتقادات تعرض لها!- الذي خاض نقاشا علانيا ومتناقضا حول النظام الاقتصادي للبلاد في مجلة وزارة الصناعة. هذه الأخيرة، فضلا عن ذلك، كانت ملجأ لكل أولئك الذين أزيحوا من مسؤولياتهم: هكذا، فقد

أدمج فيها وزير الاتصال سابقا أولتوسكي الذي أزيح من الحكومة في يوليو 1960. والطرفة لها دلالة خصوصا وأن تشي كان قد دخل في جدال عنيف مع اولتوسكي خلال الانتفاضة. هذا الأخير كان عضوا في الجناح اليساري لـM-26-7 وكان معروفا بعدائه الشديد للاتحاد السوفيتي، في الوقت الذي كان فيه التقارب مع البلد مطروحا في جدول الأعمال. وعلى النحو ذاته، رفض تشي أن يتنازل لضغوطات قائد نقابي كان يطالب بتسريح مستخدم في البنك متهم بمناصرته لباتيستا، وشهر ببداية المضايقات والملاحقات المنظمة وهو يدافع عن شرف هذا المستخدم(10).

وفي نص جد معبر، ذكر تشي بالأخطاء التي رأى أنه ارتكبها في حق "الجبهة الثانية لاسكامبراي" التي تركت جانبا إبان الزحف على هافانا، وهي أخطاء يعتقد أنها كانت السبب في انصراف أطر عديدة. هذه الأفكار المفعمة بروح النقد –الذاتي حول العلاقات الوحدوية قبل الاستيلاء على السلطة، هي الوحيدة التي تم نشرها إلى ذلك الحين.

كان آنذاك أكثر وعيا من أي قائد آخر في العالم الثالث بعيوب "الاشتراكية القائمة فعلا". كان معارضا للخطاب المرموز لرجال الجهاز الحاكم في الاتحاد السوفيتي، ولا يتردد في تقديم انتقادات علانية وعنيفة: ففي الخطاب الذي ألقاه في الجزائر سنة 1965 (آخر خطاب رسمي يلقيه بصفته مسؤولا كوبيا) أمام المؤتمر الإفريقي-الآسيوي المنعقد آنذاك، شهر بـ"التواطؤ الضمني" للقيادة السوفيتية مع الاستغلال الأمريكي والإبقاء على تبادل لا متساو. إن استشعاره بالمشاكل الهائلة التي قد تعترض بناء الاشتراكية في جزيرة واحدة وبضرورة انتصارات ثورية أخرى، هو الذي دفعه أيضا، في رسالته إلى مؤتمر القارات الثلاث، إلى إطلاق شعاره الشهير "خلق فيتناميين أو ثلاثة"... والذي غالبا ما تقدم عنه صورة كاريكاتورية. كان ناقما على "حرب الشتائم والشغربيات التي كانت بين أقوى دولتين في المعسكر الشرقي"، ويتملكه "الأسى لهذه اللحظة اللامنطقية التي تعيشها الإنسانية" أمام "العزلة الفيتنامية". وبنفاذ بصيرته، كان تشي يتقدم التطور التاريخي متوقعا الأخطار التي تحدق بالانتفاضات المعزولة في نظام عالمي تهيمن عليه، في زمن الحرب الباردة، كل من الإمبريالية والستالينية بصورة مأساوية، وكان موت هذه الأخيرة مرسوما في مساره آنذاك.

فمنذ 1962، بعد عام من الإعلان الرسمي عن الطابع الاشتراكي للثورة الكوبية، وسنتان بعد إرساء علاقات امتيازية مع الإتحاد السوفيتي، زعزعت أزمة الصواريخ ثقته في متانة هذا التحالف وفي الوثوق من المساعدة. كان مكلفا بالتفاوض حول دعم موسكو العسكري أمام خطر التدخل الأمريكي الذي

يبدو أكثر فأكثر وضوحا بعد فشل خليج الخنازير سنة 1961. كان اقتراح وضع صواريخ نووية في كوبا -والذي تتحمل موسكو مسؤوليته- يهدف إلى ثني البانتاغون عن شن مثل هذا العدوان، لكنه في الواقع كان يغير التوازن الذري. فقرب التراب الأمريكي يزيد من حدة التهديد النووي ويمنح للهجوم السوفيتي، في حالة نشوب خلاف، سرعة أكثر وينقص من فعالية الرد الأمريكي. وألح كينيدي على سحب الصواريخ تحت طائلة حرب نووية-حرارية. كان العالم على حافة الحرب، فقبلت الحكومة السوفيتية تدمير الأسلحة الهجومية.

لكن جرى سحب الصواريخ والمفاوضات بين خروتشوف وكينيدي وفق التقاليد البيروقراطية للدبلوماسية السوفيتية بدون أي استشارة كانت، مع الازدراء الكامل بالسيادة الكوبية. وكانت مفاجأة الكوبيين واستياؤهم شاملين، وشكلت أزمة أكتوبر ("هذه الأيام المضيئة والحزينة" التي أشار إليها في رسالة الوداع) دون شك أول ثغرة في العلاقات السوفيتية-الكوبية.

وستزيد السياسة الخارجية للإتحاد السوفيتي -خصوصا الدعم الشحيح الذي قدمته للشعب الفيتنامي- من تقوية نظريته النقدية أكثر فأكثر إزاء المعسكر الاشتراكي.

لغز الرحيل

كيف نفهم رحيل تشي من كوبا؟ هل بالقناعة من استحالة تطور جزيري؟ هل بتوقه إلى العودة ثانية إلى ساحة المعركة؟ هل بإرادته في تكسير تبعية كوبا إزاء الاتحاد السوفيتي، بالاتفاق مع فيديل كاسترو؟ هذا التقسيم في المهام بين رجل الدولة المسير والمكافح الثائر، ربما نتج عن توافق. لكن هذا تقسيم العمل هذا ليس كافيا للكشف عن التصدعات أو الخلافات التي سبقت رحيله، ولا يسمح بفهم تسلسل الأحداث لاحقا. فهل كان واعيا بالتقلص التدريجي لمكانته في النظام السياسي الذي يشيده؟ كانت متطلباته تزعج الموظفين والأطر القياديين، وكان نمط حياته تحديا لهذا الجهاز الناشئ من الموظفين المحظوظين الذين ينتقد عدم كفايتهم. كان نقص الأطر كارثيا بالنسبة للتسيير الاقتصادي، ولكن تشي كان يتهم نفسه أيضا بمسئوليته في الأخطاء المرتكبة: "علينا أن نقول بصراحة بأننا كلنا مذنبون. فهل تريد الطبقة العاملة أن تعاقبنا على هذا؟ فلتفعل، فلتعوضنا، فلتعدمنا رميا بالرصاص، فلتفعل ما تشاء. وهنا يكمن المشكل(11)"، كان يعاتب القادة

النقابيين الذين لا يحوز أغلبهم على أية قاعدة جماهيرية، والذين يعتقدون بأن لا واجب عليهم بل فقط حقوق. ويؤكد: "يمكن للنقابات ألا توجد في هذه اللحظة، وأن تنقل وظائفها إلى لجان عدالة العمل. وحدها البيروقراطية ستعترض، لأن ذلك قد يلزمها بالعودة إلى الإنتاج... فالمعنيون الرئيسيون يجيبون بأنهم قادة نقابيون منذ 18 سنة..."

وعلى النحو ذاته، شهر باكرا بانحراف دور "لجان حماية الثورة" والتي يتهمها بكونها عشا للانتهازية. ويذكر عناصر الأمن بأن "مضادا-للثورة هو من يناضل ضد الثورة، أما الذي يستعمل هيبته للحصول على سكن ثم يحصل بعد ذلك على سيارتين، ويخرق نظام تحديد الاستهلاك، ويملك كل ما لا يملكه الشعب، فهو أيضا مضاد-للثورة"(12).

إن السيرة الذاتية الحديثة لباكو إينياسيو تيبو توضح بجلاء ذلك التوتر المتنامي الذي يخلقه الفرق الحاصل بين نقص الموارد الاقتصادية والإنسانية واستعجال النمو بالنسبة لبلد يتعرض للعدوان. "إننا في لحظة صعبة، ولن نسمح لأنفسنا بجزر الأخطاء، فقد يتاح ذلك بعد سنة. فمن ذا الذي سيسرح وزير الصناعة(13) الذي وقع في شهر نوفمبر الماضي على مخطط يتوقع إنتاج 10 ملايين من الأحذية وبعض الحماقات الأخرى؟ (14). يبدو أنه كان يفني جهوده في نضال مضن، فيزيد من انتقاداته لنفسه وللآخرين بصدد سير عمل يتطلب "تنفيذا قاطعا، وواجبات لم تكن محط نقاش... وينتهي بنا الأمر إلى أننا لم نعد نعتبر الأشخاص كبشر، بل كجنود أو كأرقام في حرب يجب أن نربحها فالتوتر أصبح على نحو لم نعد نرى فيه سوى الهدف... علينا أن نفعل شيئا لكي تصبح هذه الوزارة أكثر إنسانية"(15).

كان تشي يناضل على جميع الأصعدة: ففي حين كان يحث على إعادة تنظيم الصناعة، كان يجادل على الصعيد النظري باحثا عن اشتراكية أخرى، وهو مقتنع أكثر فأكثر بالفشل السوفيتي. لكن النقاش الاقتصادي -الذي كان رهانه يتمثل في إستراتيجية نمو الجزيرة- سينتهي بهزيمة تشي، وسيذهب في رحلة طويلة. فخطابه النقدي جدا إزاء موسكو، والذي ألقاه في الجزائر، جرى تلقيه بشكل سيئ جدا، وهو ما تؤكده شهادات عديدة(16)، ولن ينشر بكامله في الصحافة الكوبية. ويؤكد أحد الملحقين بالسفارة السوفيتية منفي حاليا (ويفضل عدم الإفصاح عن اسمه) بأن الحكومة السوفييتية أعربت عن عدم قبولها صدور مثل هذا الخطاب من قائد كوبي. وبعد استقباله من فيديل كاسترو في المطار، والذي ناقشه طيلة يومين تقريبا، لن يظهر تشي مذاك أبدا للعيان.

بعد مضي شهر، سيذهب تشي بشكل سري إلى الكونغو. من الأكيد أن هافانا كانت، في سنوات الستين هذه، تعتبر أفريقيا رهانا رئيسيا في الخلاف بين العالم

الثالث والإمبريالية. لكن يجوز الشك في كون مشاركة تشي تدخل ضمن المشروع الأصلي: فعلاوة على المشاكل الدبلوماسية، لابد لوجوده من خلق مشاكل للقادة الأفارقة (بمن فيهم لوران ديزيري كابيلا)، والذين لم يفتهم الإفصاح عن ذلك. ومهما كانت جرأة السياسة الخارجية الكوبية في تلك الفترة ـ كانت فعلا ذات جسارة خارقة ـ، لم يكن يبدو متوقعا وجود القائد الكوبي الرئيسي بعد فيديل كاسترو. فحسب تايبو، أشار تشي أمام جمال عبد الناصر في فبراير 1965 إلى مشاركته المحتملة في المعركة الكونغولية، ثم تراجع بعد أن أقنعته حجج القائد المصري. فكيف نشرح هذه الترددات وهذه التبدلات التي لا تتطابق مع شخصيته؟.

ستكفيه بعض الأشهر من الحضور لكي يقدر لا واقعية مشروعه بالنظر إلى ضعف حركة التحرر الأفريقية، وقرر تنظيم التراجع، وهو موقف يخالف اندفاعاته "الإنتحارية". سيعارض اقتراح فيديل كاسترو بإرسال كوبيين إضافيين(17)، وكان واقعيا وعمليا لما اعتبر الرحيل حتميا. ولن تنشر يومياته في أفريقيا (كان عنوانها "مقاطع من الحرب الثورية: الكونغو"(18)) إلا جزئيا ثلاثون سنة بعد ذلك، كما تجهل مراسلاته مع فيديل.

سيمكث عدة شهور في براغ "وهو مكان آمن يجب أن يقرر فيه ماذا سيفعل"(19). وكان وجوده سريا لحذره من المخابرات السرية التشيكية. إننا لا نعرف شيئا عن أسباب هذه الإقامة الطويلة ولا عن رسائله مع فيديل. ثم سيعود خفية إلى كوبا لبعض شهور تدرب خلالها بشكل سري.

كيف كان يجري التحضير لذهابه إلى بوليفيا في أواخر 1966؟ كيف نفسر الدور المساند للحزب الشيوعي البوليفي رغم النزاع الذي طبع علاقاتهما سابقا؟ فقد سبق لاجتماع تشي سنة 1964 في كوبا مع زعيم جناح منشق عن الحزب الشيوعي البوليفي مؤيد للكفاح المسلح، أن أثار غضب الأمين العام ماريو مونجي. هذا الأخير سيعارض ويرفض القوى اليسارية البوليفية الأخرى قبل أن يتخلى عن حرب الغوار.(20)

كيف نفسر الهفوات، أي "غياب الشفافية وغموض المشروع" حسب تيبو، ونحن نعرف صرامة تشي ودقته المتشددة؟ سيكتشف فرانسوا ماسبيرو لاحقا بأن ريجيس دوبري، الذي كان بمثابة الدعامة الرئيسية للشبكة الخارجية، سيذهب في رحلة لكشف الأماكن ودراستها، وهي مسؤولية جسيمة بالنسبة لطالب فرنسي سيجري التشكيك في خياره.

فحسب تيبو، الذي يستشهد بتقرير للمخابرات الأمريكية، كانت هذه الأخيرة على علم باستعدادات رجال حرب العصابات منذ أواخر سنة 1966(21). هل

يكفي كل من التسلسل الفجائي للأحداث والاكتشاف المبكر لمعسكر التدريب الذي فرض معارك غير منتظرة، لتوضيح التطور الكارثي لتلك الحركة ونهايتها؟ لا أحد يستطيع اليوم أن يجيب على هذا السؤال.

تعرض تشي للجمود والتشويه لكنه ما يزال حيا، منتصرا ومنهزما، بعد سقوط حائط برلين، على أنقاض ثورات القرن العشرين. من أين تستمد رسالته قوتها؟ فهو رجل متمسك بقناعاته، كان يجسد احتقار السلطة ويعيد الاعتبار للسياسة. لم يوجد ولا يوجد نموذج غيفاري لبناء الاشتراكية، ولكن هناك بحث عن نمط اجتماعي آخر يكون في صالح "من هم في أسفل" وليس في صالح "من هم في الفوق" كما يقال اليوم في أمريكا اللاتينية. فهو يحمل تصورا أخلاقيا للسلطة، وهو قائد سياسي من طراز جديد يطابق أفعاله مع أقواله وهو ناقد شرس للاشتراكية المنحرفة، وتعود حداثته إلى هذا المزج بين الإنسانية والنزاهة. "غيفارا القادم، المهزلة انتهت"، هذا ما سبق للمتظاهرين في مونتيفيديو سنة 1961 أن صاحوا به.

مجلة انبركور. العدد 415. يوليوز 1997

تعريب: المناضل-ة

الهوامش

باكو إينياسيو تيبوا: Ernesto Guevara tambien conocido como el Che، منشورات بلانيتا مدريد 1996،غير منشور. المرجع: مخطوطة كارلوس تابلادا

ذكر في مؤلف باكو إينياسيو تيبوا، ص424. سياسة "تعويض الواردات" هذه كانت آنذاك توصي بها اللجنة الاقتصادية لدول أمريكا اللاتينية (CEPAL) دول أمريكا اللاتينية.

ارنستو تشي غيفارا: مؤلفات ثوري. منشورات لابريش. باريس 1987.

ارنستو تشي غيفارا: بصدد نظام التمويل في الميزانية. منشورات ماسبيرو. المجلد 3 – 1968

ارنستو تشي غيفارا: الكتابات السياسية: الاشتراكية والإنسان في كوبا. منشورات ماسبيرو. 1965-1968

ماساري: Che guevara pensiro e politica dell utopia Associate روما. 1987.

تعليقات على "كتاب الإقتصاد السياسي للاتحاد السوفياتي". غير منشور. 1966. ذكر في ترسير ميلينو: خوان أنطونيو بلانكو. ص 83. هافانا. 1995.

غير منشور. المرجع: مخطوطات كارلوس تابلادا.

راجع ما رواه باكو إينياسيو تيبوا في المرجع السابق.نفس المرجع. ص 445.

ارنستو تشي غيفارا: الكتابات غير المنشور. المجلد 4. منشورات ماسبيرو. 1972. تأثير الثورة الكوبية في أمريكا اللاتينية. ص 149.،نفس المرجع.،نفس المرجع. ص 451.،نفس المرجع. ص 435.

اتصل راوول هاتفيا بتشي عند عودته إلى هافانا (في مارس 1965) ليطلب منه استقبال هويرمان وسويزي وهنأه على خطابه. .

مقتطف من يوميات ارنستو تشي غيفارا: سنة لم نكن فيها في أي مكان. باكو إينياسيو تيبوا. فرويلان اسكوبارز فيليكس غويرا. منشورات Metaille. باريس 1995. النسخة العربية بعنوان: قصة اختفاء غيفارا في أفريقيا (سنة لم نكن فيها في أي مكان). تعريب فارس غصوب. بيسان للنشر والتوزيع والإعلام. بيروت. 1996.

عنوان يشكل في الحقيقة المجلد الثاني: مقاطع من الحرب الثورية (كوبا).

حسب عميل في المخابرات السرية الكوبية. باكو إينياسيو تيبوا. مرجع سابق.

نفس المرجع. ص 614.

نفس المرجع. ص 635.

الرسائل والمقولات

ملف الصور

الرسائل :

رسالة الوداع التي أرسلها تشي جيفارا إلى الرفيق فيديل كاسترو عام 1965:

هافانا "عام الزراعة"

فيدل:

يحضرني في هذه اللحظة العديد من الأشياء، عندما تعارفنا في منزل ماريا أنتونيا، عندما اقترحت على المجئ، من بين كل توتر التجهيزات.

لقد تساءلنا ذات يوم عن الشخص الذي يمكن أن نخبره في حالة الموت وصعقتنا إمكانية حدوث ذلك بالفعل. بعد ذلك عرفنا، أنه كان مؤكداً، أنه في الثورة أما النصر أو الموت (لو كانت حقيقية). ويمكث العديد من الزملاء على الطريق نحو النصر.

واليوم أصبح صوتنا أقل تأثراً لأننا أصبحنا أكثر نضجاً، لكن الحدث يتكرر. أشعر أنني قمت بالجزء الخاص بواجبي تجاه الثورة الكوبية في أراضيها وأودعك، وأودع الأصدقاء، وأودع شعبك الذي أصبح شعبي.

وأتقدم رسمياً باستقالتي من مهامي أمام إدارة الحزب، من منصبي كوزير،

من رتبة القائد، من جنسيتي ككوبي. لا يربطني أية قانون بكوبا، فقط روابط من نوع أخر لا يمكن قطعها مثل التعيينات.

وإذا ما تذكرت حياتي السابقة، أعتقد أنني قد عملت خلالها بنزاهة وإخلاص لإحراز النصر الثوري.

ولعل خطئي الوحيد الخطير إلى حد ما، هو أنني لم أثق فيك بشكل كبير منذ اللحظات الأولى في "سييرا مايسترا" Sierra Maestra ولم أتفهم بسرعة كافية قدراتك القيادية والثورية.

لقد قضيت أياماً رائعة وشعرت بجوارك بفخر الانتساب إلى شعبنا في الأيام المضيئة والحزينة لأزمة الكاريبي.

وفي مرات قليلة تألقت بشدة كرئيس الدولة في هذه الأيام وأشعر بالفخر أيضاً لأنك استمريت بدون أن تهتز، وعرفت بأسلوب تفكيرك، رؤيتك وتقديرك للأخطار والمبادئ.

هناك أراضى أخري في العالم تطالب مشاركة جهودي المتواضعة.

أستطيع أن أعمل ما ترفضه أنت نظراً لمسئولياتك تجاه كوبا ولقد جاءت لحظة انفصالنا.

تعرف أنني أعمل ذلك بمزيج من السعادة والألم، فسأرحل من هنا تاركاً أنقى أحلامي البناءة وأحب الأشخاص من كل الكائنات التي أحبها... وأترك شعباً تقبلني كابن؛ وهو ما يؤلم جانب من جوارحي. وفي أراضي المعارك الجديدة سأحمل معي اليقين الذي غرسته في، الروح الثورية لشعبي، الشعور بالالتزام تجاه أقدس الواجبات؛ محاربة الأمبريالية أينما وجدت؛ وهو ما يقوي ويشفي بشدة أية جروح.

أكرر أنني قد تحررت من أية مسئولية تجاه كوبا، ما عدا تلك التي تصدر عن مثالها. إذا ما وافتني المنية في أراضي أخري، ستكون أخر أفكاري في هذا الشعب وخاصة فيك. أتوجه إليك بالشكر على تعاليمك وعلى كونك نموذجاً سأحاول أن أخلص له حتى أخر تابعيات أفعالي. لقد كنت وسأظل أنادي دائماً بالسياسة الخارجية لثورتنا. أينما أكون سأشعر بمسئولية كوني ثوري كوبي، وهكذا سأتعامل. لن أترك لأولادي ولزوجتي أشياء مادية ولا يحرجني هذا: يسعدني أن أكون هكذا. لن أطلب شيئاً لهم لان الدولة ستعطيهم ما يكفيهم من أجل العيش والتعليم.

لدي الكثير كي أقوله لك ولشعبنا، لكنني أشعر بعدم جدوى ذلك، فالكلمات لن تعبر عن ما أريده، ولن يفيد استهلاك الأحبار.

إلى النصر دائماً، الوطن أو الموت

ولق مني حضن ثوري دافئ.

تشي 1965

تعريب سفارة كوبا في مصر

من رسالة إرسالها تشي إلى أبنائه الصغار

كوبا سنه 1965

لو جاء يوم قدر أن تقرؤوا هذا الخطاب لأني لن أكن بينكم و غالبا قد لا تتذكروني و أصغركم لن يتذكرني مطلقا

تذكروا أن أباكم كان رجلا تحركه معتقداته و إخلاصه لقناعته

اكبروا كثوار حقيقيين. تعلموا جيد لتستطيعوا أن تمتلكوا وسائل التكنولوجي التي تجعلكم تسيطرون علي الطبيعة تذكروا دائما أن الثورة أهم شي و كل فرد منا لا يساوي شئ بدون الآخرين

قبل كل شئ كونوا حاولوا أن تكونوا مسئولين بعمق تجاه العدالة ضد أي إنسان في العالم هذه أعظم الصفات داخل الثوري

دائما و للأبد أطفالي الصغار أتمني أن أراكم

قبلاتي لكم و أحضاني من بابا

1965 ترجمة دينا أبو المعارف

من رسالة تشي إلى ابنته هيلد عام 1965 ترجمة دينا أبو المعارف

فبراير 1965

العزيزة هيلدبنا

اكتب لك اليوم, و لو أن الرسالة ستصلك متأخرة بما فيه الكفاية و أود أن تعلمي إني أفكر بك و آمل أن تمضي عيدا سنويا سعيدا لقد كدت تصيرين امرأة, و لن استطيع أن اكتب لكي كما كتبت لإخوتك الصغار, أشياء سخيفة و حكايات ملفقه

يجب أن تعلمي إني ب, لكني سابقي بعيدا عنك زمنا طويلا, باذلا كل ما باستطاعتي للكفاح ضد أعدائنا.ليس ذلك أمرا عظيم, لكنيي افعل شيئا ما, و أظن انك ستكونين دوما فخوره بابيك, كما إني فخور بك.تذكري انه ما يزال أمامنا سنوات كثيرة من الكفاح و أن عليك أن تلعبي دورك فيه حتى عندما ستصيرين امرأة.و بانتظار ذلك, يجب أن تعدي نفسك, و أن تكوني ثوريه جدا هذا يعني في سنك الإكثار من الدراسة, قدر الإمكان, و الاستعداد دوما للدفاع عن القضايا العادلة.بالاضافه إلي إطاعتك أمك و ألا تظنين نفسك كبيره قبل أن تكبري فسيتحقق ذلك.

يجب أن تناضلي لتكوني من خيره الطالبات في المدرسة, أن تكوني خيرهن بجميع المعاني, و تعلمين معني ذلك:دراسة, موقف ثوري, و رفاقيه الخ...لك أكن هكذا في مثل سنك و إنما عشت في مجتمع آخر, كان فيه الإنسان عدو الإنسان أما الآن فقد أسعدك الحظ بان تعيشي في عصر آخر و يجب أن تكوني أهلا له.

لا تنسي أن تقومي بجولة في المنزل لتفقد الصغار و توصيهم بالعمل الجدي و أن يكونوا عاقلين.و خاصة أليدينا التي تصغي إليك جيدا لأنك أختها الكبرى.،و الآن,يا صغيرتي أتمني لك مره أخري عيدا سعيدا جدا.قبلي أمك و جينا و تقبلي قبله كبيره جدا و قويه جدا,تدوم طيلة الوقت الذي لن أراك فيه, منأبيك

من رسالة الى والدية

" ها أنا ذا انطلق من جديد اشعر بقرب نهايتي

قبل عشر أعوام قد كنت كتبت لكم رسالة وداع، قلت فيها: على ما اذكر اننى لم أصبح جنديا حسنا ولا طبيبا حسنا، فالنسبة للثانية فهي لا تعنيني إما الأولى فقد أصبحت جنديا غير سئ.

منذ ذلك الحين بقى كل شي على حاله بشكل عام غير اننى أذدت وعيا، وازدادت ماركسيتي.

أنا أرى فى النضال المسلح المخرج الوحيد للشعوب المناضلة من اجل حريتها، وأنا ملتزم بافكارى وكثيرون هما الذين يعتبروني مغامرا.وهذا صحيح، لكنى مغامرا من نوع خاص من أولئك الذين يخاطرون بحياتهم من اجل ترجمة أفكارهم إلى واقع.

من المحتمل أنا أقوم بذاك للمرة الأخيرة.

أنا لا ابحث عن تلك النهاية، لكننا لو فكرنا منطقيا فقد تكون هذه النهاية محتملة .

وإذا كان الأمر كذلك فاسمحا ليا أن أضمكما للمرة الأخيرة.

لقد أحببتكما كثيرا ، لكنني لم أتقن إظهار حبي وكنت مستقيما فى تصرفاتي لدرجة قسوة واعتقد إنكما لم تفهماني ، ومن جهة أخرى صدقاني ،لم يكن من السهل فهمي وعلى الأقل في هذا اليوم تدفعني ارادتى ، رغم قدماي الضعيفين ورئتين منهكتين ، إلى العمل .لكنني سأصل إلى الهدف .

قبلو ، نيابة عنى ساسلية وربرتو وخوان ومارتين ...... بكلمة واحدة قبلو الجميع

يعانقكما بقوة ابنكم الضال الذي لا يقوم

ارنيستو

بعض من مقولات جيفارا

كما كان جيفارا بمعنى الكلمة ومضامينها النضالية كانت كلماتها تعبير عن ذلك وتعبير عن روح الثائر الحالم إلى حد الرومانسية لم تكن كلماته فحسب كلمات محرر وقائدا ثوريا بل كلمات صيغت من نبع للنقاء الثوري الحالم تقترب أحياننا من حدود الشعر وتتصف أحياننا بحدة الموقف ووضوحه معبرا عن رمز ومناضل وإنسان بمعنى الكلمة كانت، كلماته امتزاج بين ثلاثي الرمز والمناضل والإنسان تقلب صفحات إعمال جيفارا فتجد دوما ما يستحق التوقف والتأمل وليس ذلك غريب على مناضل حمل أحلامه فى كل بقعة ذهب إليها مناضل يكتب الشعر ويهوى الرسم والتصوير ويغامر دوما من اجل تحرير الإنسان من الاستغلال والقهر للوصل إلى عالم إنساني ممكن ترفرف فيه رايات العدل والحرية مؤمنا بان هذا العالم البديل ستصنعه الجموع الكادحة الفقيرة والقوى الثورية فى العالم ستظل كلماتك فى ضمير وقلب من يقرائك حتى وان كان لا يشاركك الموقف لأنك مثال انسانى مبهر يستحق الاحترام وان اختلف احد معك.

- لقد تعلمنا الماركسية في الممارسة العملية, في الجبال
- تمسكي بخيط العنكبوت ولا تستسلمي عزيزتي (من رسالة إلى زوجته إليدا)
- أينما وجد الظلم فذاك هو وطني
- لا يستطيع المرء أن يكون متأكدا من أنه هنالك شيء يعيش من أجله, إلا إذا كان مستعدا للموت في سبيله.
- أنا لست محررا, المحررين لا وجود لهم, فالشعوب وحدها هي من يحرر نفسها.
- إنني أحس على وجهي بألم كل صفعة تُوجّه إلى مظلوم في هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو وطني.
- لا يهمني أين و متى سأموت بقدر ما يهمني أن يبقى الثوار يملئون العالم ضجيجا كي لا ينام العالم بثقله على أجساد الفقراء
- إننا لا نرى تعريفا أخر للاشتراكية سوى إلغاء استثمار الإنسان للإنسان ومادام ذلك لم يتحقق سوف نظل فى مرحلة البناء الاشتراكي "
- أن الطريق مظلم و حالك فإذا لم تحترق أنت وأنا فمن سينير

الطريق.

- أنا لست محررا, المحررين لا وجود لهم, فالشعوب وحدها هي من يحرر نفسها
- يجب على الشباب الشيوعي أن يكون ذا حس مرهف بالواجب نحو المجتمع ومع أمثالنا من البشر ومع الناس في العالم كله لين كان مبعث هذا الظلم يجب أن يتمرد على كل ما هو ظالم "
- إن من يعتقد أن نجم الثورة قد أفل فإما أن يكون خائنا أو متساقطا أو جبانا, فالثورة قوية كالفولاذ, حمراء كالجمر, باقية كالسنديان عميقة كحبنا الوحشي للوطن
- لا يستطيع المرء أن يكون متأكدا من أنه هنالك شيء يعيش من أجله, إلا إذا كان مستعدا للموت في سبيله
- كل قطرة دم تسكب في أي بلد غير بلد المرء سوف تراكم خبرة لأولئك الذين نجوا, ليضاف فيما بعد إلى نضاله في بلده هو نفسه, وكل شعب يتحرر هو مرحلة جديدة في عمليه واحده هي عملية إسقاط الإمبريالية.
- أنا أنتمي للجموع التي رفعت قهرها هرما ، أنا انتمي للجياع ومن سيقاتل.
- يجب البدء في محو كل مفاهيمنا القديمة – يجب إلا نذهب للناس نقول لهم ها نحن جيئنا لنتفضل عليكم بوجودنا معكم لنعلمكم علومنا – لنظهر لكم أخطائكم وحاجتكم للثقافة وجهلكم بالأشياء الأولية يجب أن نذهب بدلا من ذلك بعقل فضولي وروح متواضعة لننهل من هذا المعين العظيم للحكمة الذي هو الشعب .
- إذا ما خططنا لإعادة توزيع ثروة هؤلاء الذين لديهم الكثير جدا لنعطي هؤلاء الذين لا يمتلكون شيئا؛ لو نوينا أن يصبح العمل مبدعا يوميا، مصدرا ديناميكيا لكل أسباب سعادتنا، فمن ثم نحن لدينا أهداف نسعى نحوها.
- يجب أن نتذكر دائما أن الإمبريالية نظام عالمي، هو المرحلة الأخيرة من الاستعمار، ويجب أن تهزم بمواجهة عالمية."
- رغم خوفي من أن أبدو مثارا للسخرية، دعني أقول أن الثوري الحقيقي يهتدي بمشاعر حب عظيمة.
- عندما يجد الإنسان حياته بلا مستقبل بلا أفق يعيش دوما خائفا من ما هو آت لأنه لا يستطيع تامين سبل المعيشة إلى عدة أيام قادمة ذلك المستقبل الذي سوف يظل كاتما في ظل تلك الظروف

- فـى حيـاة شـغيلة كـل بلـدان العـالم أولئـك الـذين فقـدوا أحلامهـم فـي المستقبل الاتى تكمن المأساة "
- اننى انتمـى إلـى الجمـوع التـي دفعت قهرهـا هرمـا ـ أنـا انتمـى إلـى الجياع ومن سيقاتل " .

ملف الصور

ميراث جيفارا

رحل جيفارا ولكنة باقي لدى الملايين التـواقين للعدل والحريـة بل وكـل مـن يتخـذ موقفـا ضـد الاسـتغلال، رحـل تاركـا ميـراث كبيـر مـن المعـارك والمواقـف والأفكـار ذات الملامـح الثوريــة الرومانسـية، تــرك جيفــارا المتجسـد كرمـز وكأسطورة والذي لن يستطيع احد تشويه، قتل "السي اى أية" جيفارا ولكن لـم تقتل الأفكار، لقد كانت معظم المنظمات المسلحة الثورية فى العالم تهتدي بخطى التجربة الجيفاريه وبأفكار ذلك الثائر حتـى ان البعض يرى أن جزء مـن التـراث الذي رآكم صعودا لليسار مـن جديد فـي أمريكـا الاتنيـة كـان جزءا منهـا الأفكـار الجيفارية، كما كانت هناك علاقـة جدليـة بين حركـة المقاومـة العالميـة والعربيـة سواء فى الجزائر وفلسطين أو مصر أو الكونغو، لقد تركت الجيفاريـة بحسابات متفاوتـة أثارهـا علـى هذه الحركـة فقد تميـزت الجيفاريـة بمـهج انسـانى صـرف وتضامن أممي وثورية رومانسية تعلو عن الانتهازية أو الموائمات السياسية لقد كـان نقـاء التجربـة الثوريـة لجيفـارا لا يناظرهـا اى مـن التجـارب الاشـتراكية أو الحركات التحررية الأخرى، لقد رفض جيفارا البيروقراطية وأعلن موقفا واضحا منها وهاجمها هجوما عنيفا ورفض مظاهر لذيله التي يفرضها الاتحاد السوفيتي مع بعض الدول حديثة التحرر من الاستعمار ونقد ممارسات الأحزاب الشيوعية فى بوليفيا والاتحاد السوفيتي وكوبا ورفض الموقف السوفيتى تجاة الصين، لقد ظل جيفـارا الأكثر اتسـاقا مـع المواقـف الثوريـة ذات الطـابع الانسـانى بعيدا عن الحسابات السياسية الضيقة ومنطق فرض النفوذ لذا بقى هو المثال والرمز لكافة الحـالمين بعـالم مغـاير تنتـزع الشـعوب فيـة حقوقهـا عبـر مواجهـة العنصـرية والاستغلال والهيمنة.

أخطئ جيفارا بلا شـك عنـدما ظـن ان البـؤر الثوريـة (مجموعـات حـرب العصابات) فحسب هي القادرة على تغيير الأوضـاع فـى بوليفيـا والكونغـو بـدون حركـة جماهيريـة تساند تلك البؤر.

حصاد خمسة عشر عاما من الترحال والنضال قضاها جيفارا متنقلا من بلد إلى أخرى رافضا طوال هذه السنوات نموذج الاشتراكية السلطوية وممارسات البيروقراطية متجها إلى خلق نموذج جيفارى أن صح التعبير يكون هدفه الإنسان. كانت تجاربه تعتمد فى أحيان كثيرة على التجربة الحدسية، قائدا ذو نزعة إنسانية زاهدا فى الحياة يحارب الاستغلال والاستعمار ويحارب فى ذات الوقت البيروقراطية والتربح على حساب الشعوب .

ترك جيفارا نموذجا اشتراكي ذو نزعة إنسانية تبنى من اجل الإنسان الجديد الذي بشر به، بالطبع لم يترك جيفارا ملامح مشروعة واضحة تماما ولكن أعطانا بعضا من الملامح حول دور الفن والوعي والتعليم في بناء الاشتراكية، لقد أوضح لنا أيضا دور الحزب والطليعة الثورية فى حركة التحرر وكذالك تحدث كثيرا عن التضامن الاممى رافضا فى ذات الوقت ان تتحول الماركسية إلى دوجما أو تمارس معها شكلا من إشكال العبادة للنصوص وعبر النضالات المتكررة يبدو جيفارا الرجل الأكثر شجاعة ونقاء هكذا كان جيفار بفكرة وممارساته يمزج الأفكار الماركسية اللينينية والماوية معا ويقترب من ثورية تروتسكى، رغم انه رفض أفكار التروتسكيين فى كوبا وممارساتهم التخريبية إلا انه رأى من الغير صحيح ممارسة الحجب على أفكارهم.

الثورة والكفاح المسلح كطريق اختاره جيفارا جعله النموذج الأكثر نبلا لقد أثرت تلك الأفكار على الحركة الاجتماعية وحركات التحرر الوطني وتحركات الشباب المناهضة للاستعمار والحرب فخلق علاقة جدلية بين عقد الستينات والسبعينات والأفكار الجيفارية فبروز حركة التحرر الوطني فى القارات الثلاثة (أفريقيا واسيا وأمريكا الاتينية) خلقت موجة مواجهة للهيمنة والتحالف الاستعماري يمكن وصف هذه الموجه بالحلف المقاوم والذي انجذب إلية الكثير من شباب العالم والفئات الاجتماعية والطبقات التى تعانى القهر والاستغلال منجذبين إلى جيفارا وتجربته النضالية حتى ان مقولاته وشعاراته أصبحت نبراسا بتبعة المناضلين لمقاومة الواقع المرير. مئات من الزعماء والمناضلون الذين خاضوا نضالا عنيدا مع الإمبريالية والاستغلال مروا يوما على خطى جيفارا وأفكاره

و نضالا ته.

المراجع :

الحلم الافريقى :

يوميات الحرب الثورية فى الكنغو لتشى جيفارا

الناشر : جروف برس نيويورك 1999

ترجمة 2000 انجليزى

Che's Congo adventure

The African Dream: The Diaries of the Revolutionary War in the Congo
by Che Guevara
Ernesto Che Guevara
The African Dream: The Diaries of the Revolutionary War in the Congo
New York: Grove Press, 1999, (2000, English translation), 244pp.
Ernesto Che Guevara

On Revolutionary Medicine

Spoken: August 19, 1960 to the Cuban Militia
Source: *Obra Revolucionaria*, Ano 1960, No. 24 (Official English translation)
Translated: Beth Kurti
Online Version: Che Guevara Internet Archive (marxists.org), 1999
Transcription/Markup: Brian Basgen

حرب العصابات (1961). الإنسان والإشتراكية في كوبا (1967).

ذكريات الحرب الثورية الكوبية (1968).

ارنستو تشي جيفارا عن الطب الثوري

مقاله عن الطب الثوري ألقاها تشي جيفارا 19 أغسطس 1960 للميليشيا الكوبية

يوميات بوليفيا........ ارنستو تشي جيفارا- الفارابى

بعد انتصار الثورة..........ارنستو تشي جيفارا – ترجمة فؤاد ايوب- دار الفارابى

احلامى لاتعرف حدود...... روس فلوف – - دار الفارابى

جيفارا سيرتة وكتاباتة وحياتة.... مجموعة مقالات نشرت فى جريدة الغرانما جريدة الحزب الشيوعي الكوبي ترجمها حسن فخر سنة **1968**- دار الطليعة بيروت





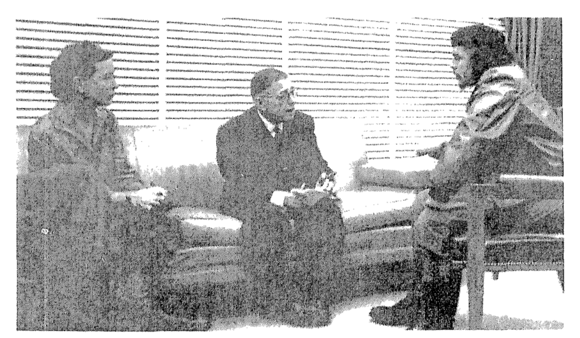










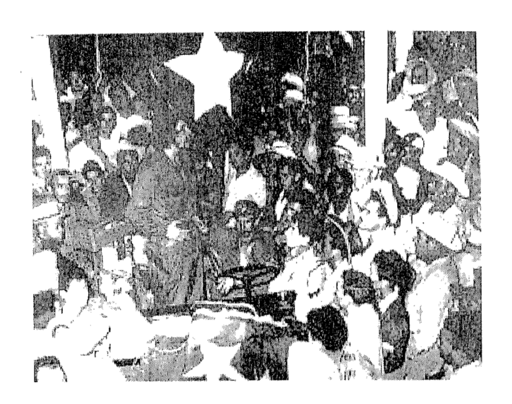








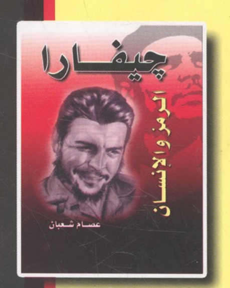












يتناول هذا الكتاب ..

حياة چيفارا الرمز والإنسان فچيفارا أصبح الآن هو البطل الحقيقى لفقراء العالم لمن يبحثون عن العدالة الاجتماعية، فإذا ذهبت إلى أي مكان بالعالم سوف تجد صور چيفارا، فرغم موته لم تستطع قوى الرأسمالية أن تخفى صورته من أذهان ملايين الفقراء بالعالم.

ونحن فى هذا الكتاب نتناول حياة چيفارا الرمز والإنسان وكفاحه من أجل عدالة اجتماعية وحياة أفضل لجميع فقراء العالم، وإلى هؤلاء المقهورين نهدى هذا الكتاب

